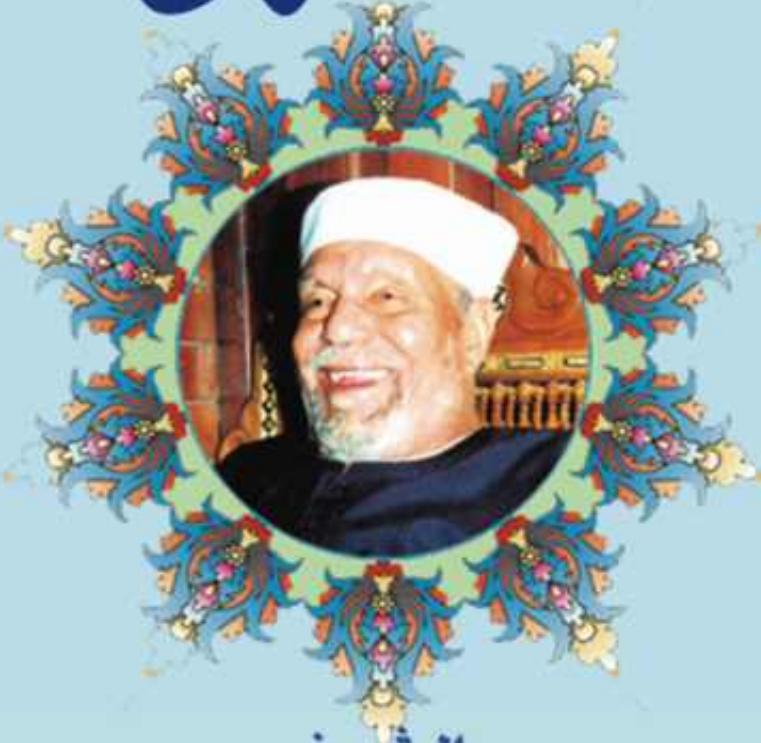


معجزة القرآن



الشيخ
محمد متولى الشعراوى

الصف الأول الثانوي طبعة ٢٠١٥ - ٢٠١٦ م
غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

● من الإيمان أن تهتم بنظافة بدنك وملابسك ، وبيتك ومدرستك.

● الإنتاج هو طريقنا إلى القوة والرخاء

● قد تؤدي البلهارسيا إلى مضاعفات صحية خطيرة للأطفال والبالغين

● يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحدة من الأقراص.

● وهي صحية وآمنة ومتاحة في جميع الوحدات الصحية بلامقابل.

● القراءة تغذي العقل.. والرياضة تقوي الجسم.. والفنون تهذب الإحساس.

● التعليم حق للجميع.. فاحرص على أن تكون دائما جديرا بهذا الحق.

● تلوث الطعام وتعرضه للذباب والحشرات، يساعد على انتشار الأمراض.

● استعمال المرحاض الصحي والحفاظ على نظافته والإبقاء عليه مغلقا

● وغسل الأيدي، يحد من الإصابة بالأمراض.

● الصدق أقصر الطرق إلى الإقناع.

● اغرس شجرة، أو ازرع زهرة.. تجد كل ما حولك سعيداً باسمًا.



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم

قطاع الكتب

معجزة القرآن

الشيخ / محمد متولى الشعراوى

للمصف الأول الثانوى

طبعة ٢٠١٥ - ٢٠١٦ م

القاهرة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٤٣٦ - ١٤٣٧ هـ

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

مقدمة

معجزة القرآن الكريم هي معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة.. والقرآن خاتم الكتب السماوية.. ليس له عصر معين في إعجازه ولا زمن محدد في تحديه للبشرية كلها.. وهو لم يأت ككتاب علم.. هذه حقيقة يجب أن نضعها في أذهاننا.. ولكنه في الوقت نفسه جاء كمعجزة خالدة باقية.. ومن هنا فإن فيه إعجازاً لكل العصور.. إعجازاً لمن عاشوا قبلنا وإعجازاً لعصرنا هذا وإعجازاً لمن سيأتون بعدنا.. حتى تنتهي الدنيا وما فيها.

والقرآن جاء لينذر من كان حياً.. ومن هنا فإنه موجه إلى الأحياء.. وتحديه هو بالنسبة لمن يقيمون على هذه الأرض.. وليس لمن انتقلوا منها إلى العالم الآخر.. فأولئك يرون عين اليقين.. ويعرفون الحق بعد مغادرتهم الدنيا..

وتناول فضيلة الشيخ الشعراوي بعد ذلك.. لماذا نزل القرآن ككتاب جامع للبشرية كلها؟ ولماذا كانت الكتب السماوية تنزل إلى أمة أو شعب لتعالج داءً بينما القرآن عالج جميع مشاكل البشرية كلها ؟ .. ثم روى بالتفصيل كيف أن القرآن مزق حجب الغيب الثلاثة.. حجاب الزمن الماضي.. وحجاب الحاضر.. وحجاب المستقبل.. بل إنه دخل إلى أعماق النفس البشرية .. ليظهر ما



يخبئه الإنسان.. ولا يبوح به.. ولا يعلمه إلا الله..

مزق القرآن بعد ذلك حجب المستقبل القريب والبعيد.. فأنبأ عن أشياء لم يكن العقل يعتقد أنها ستحدث.. أو أنها يمكن أن تحدث.. وتنبأ بنتائج حروب ومصائر شعوب.. وقال لنا إن الأرض كروية.. وكشف لنا علم الأجنة قبل أن يعرفه العالم.. وتحدى البشرية في أن تخلق ذبابة واحدة.. وكشف عما هو أصغر من الذرة.. ونلاحظ أن كلمة أصغر معناها منتهى الدقة في صغر الحجم.. لأن هناك صغيراً وأصغر.. وقال: ﴿ وما تحت الثرى ﴾ مشيراً إلى أن هناك ثروات هائلة في باطن الأرض.. ثم أنبأنا عن معجزة الخلق.. وكيف تتم.. وأبان لنا أشياء وصلنا إليها بالعلم الأرضي.. وأشياء لم نصل إليها حتى الآن..

كل ذلك أوضحه فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى أسلوب سهل جميل.. وبطريقة مفهومة لكل إنسان..

والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر تفسيراً علمياً هاماً وعميقاً لبعض معجزات القرآن.. وهو تفسير لم يتناوله أحد من الأئمة حتى الآن بهذه الصورة.. ولم يقدمه بهذا الأسلوب السهل الممتع.. وهو يضيف إلى المكتبة القرآنية.. مكتبة التفسير إضافات هامة يعتز بها كل مسلم.



الفصل الأول

معجزة القرآن

مقدمة :

هل يستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة حربية ستحدث بعد سبع أو ثمانى سنين ؟ ويحدد من الذى سينتصر ؟ ومن الذى سيهزم ؟ وما الذى يجعله يدخل فى قضية غيب كهذه ؟ كيف يخبر الكفار بما تخفيه صدورهم ولم تهمس به شفاههم .. ويقول لأعداء الإسلام ما سيقع لهم ؟ ويتحدى فى قضايا الغيب .. وماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الإيمان كله .. لو لم يصدق القرآن فى كل حرف قاله ؟ ولكنه صدق فى كل ما قاله .. لماذا ؟
لأن القائل هو الله والفاعل هو الله .

القرآن الكريم :

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ .. والمتعبد بتلاوته .. والمتحدى به .. والقرآن يحمل أكثر من معجزة .. تحدى الله به العرب أولاً .. ثم تحدى به الإنس والجن .. لم يتحد به الله الملائكة .. لأن الملائكة ليس لهم اختيارات ليعملوا بها .. أى أنهم يفعلون ما يؤمرون به من الله فقط .. قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١)

(١) التحريم : الآية رقم (٦)



من هنا فإن القرآن يتحدى كل القوى المختارة أو التى لها اختيار ..
التى ميزها الله.. بقدرة العقل والفكر والاختيار..
وقبل أن نتحدث عن معجزة القرآن .. يجب أن نحدد معنى كلمة
معجزة ..

حين يأتى إنسان ويقول إنه رسول من عند الله جاء ليبلى بمنهجه
.. أفنصدقه ؟ أم أننا نطالبه بإثبات ما يقول ؟

إذا كان لابد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه فى
رسالته وفى بلاغه عن الله^(١) وأن تكون المعجزة مما لا يستطيع أحد
أن يأتى به، وأن تكون أيضاً مما نبغ^(٢) فيه قومه .. لماذا ؟ .. حتى لا
يقال إن الرسول قد تحدى قومه بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه..
فالتحدى يجب أن يكون فى أمر نبغ فيه القوم حتى يكون للتحدى
قيمة .. ولذلك نلاحظ فى معجزة كل رسول أنها جاءت فيما نبغ فيه
قومه .. وأنها جاءت لتهدم من يتخذونه إلها من دون الله..

وسوف نتناول بعض هذه المعجزات .

١ - معجزة إبراهيم عليه السلام :

فمثلا معجزة إبراهيم عليه السلام جاءت فى قوم يعبدون الأصنام
ويسجدون لها ويقدسونها .. ولذلك عندما أرادوا إحراق إبراهيم
جاءوا به أمام آلهتهم ليلقوه فى النار.. وكان المفروض أن هذه

(١) المعجزة: هى الأمر الخارق للعادة ويظهره الله تعالى على يد من اختاره ليبلى رسالته وأن
تكون المعجزة مما لا يستطيع أحد أن يأتى به.

(٢) نبغ : برع وتفوق.



الآلهة تنتقم لنفسها ممن حطمها إذا كانت تستطيع لنفسها نفعاً
أو ضرراً .. ولكنهم حين ألقوا بإبراهيم - الذى سقّه^(١) معتقداتهم -
فى النار لم تحرقه النار .. وخذلتهم^(٢) آلهتهم ..

على أن اختيار النار يمكن أن يكون له معنى آخر.. فكم من
الناس عبدوا النار فى الماضى.. حتى خلال هذه الفترة نجد أن
بعض الناس لا يزالون يتخذون النار إلهاً مقدساً.

ولكن معجزة إبراهيم ليست أن ينجو من النار.. فلو أراد الله أن
ينجيه من النار ما مكنهم من إلقاء القبض عليه، أو لنزلت الأمطار
لتطفئ النار.. ولكن الله شاء أن تظل النار ناراً متأججة^(٣)
محرقة مدمرة .. وأن يؤخذ إبراهيم عياناً أمام كل الناس ويرمى
فى النار.. وهنا يعطل ناموس^(٤) أو قانون إحراقها ﴿قُلْنَا نَارُ
كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥).

لو أن إبراهيم نجا بأن هرب مثلاً... لقالوا لو أمسكناه لأحرقناه..
ولو نزلت الأمطار لقالوا لو لم تنزل الأمطار لأحرقناه.. ولكن
إبراهيم لم يهرب.. والأمطار لم تنزل.. والنار متأججة .. ولكنها لم
تحرق إبراهيم .. فكأن آلهتهم التى كانوا يزعمون أنهم ينتقمون
لها ليست آلهة كما يزعمون.. إنما هى أصنام لا تضر ولا تنفع..
وكل شئ فى هذا الكون خاضع لمشيئة الله.. وإرادة الله.. عندما

(٢) خذلتهم : لم تستطع لهم نصراً.

(١) سقّه : عاب .

(٥) الأنبياء: ٦٩ .

(٤) ناموس : قانون .

(٣) متأججة : مشتعلة .



يقول ﴿يَنَارُكُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ .. تتعطل خاصية الإحراق.. وتقف
قوانين الكون عاجزة أمام قدرة الله.. وتقف ألتهتهم عاجزة عن أن
يقول: يا نار أحرقي من حطمننا.

٢ - معجزة موسى عليه السلام :

أيد الله - سبحانه وتعالى - نبيه موسى عليه السلام بأكثر من معجزة ،
أيده بالعصا التي تتحول إلى ثعبان كبير ، وييده يدخلها في جيبه
ثم يخرجها فإذا هي بيضاء منيرة مشرقة.

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ٣٢ وَنَزَعُ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظَرِ ٣٣ ﴾ (١)

لماذا أيد الله - سبحانه وتعالى - موسى عليه السلام بهاتين المعجزتين؟
لأنه أرسله إلى قوم نبغوا في السحر ويتقنونه جيداً ، وهنا كان
التحدى ، فقد جمع فرعون السحرة ليثبت كذب موسى ، ولكنه
عجز ومعه أمهر السحرة في مملكته أمام المعجزة الإلهية ، وأيقن
السحرة بأن موسى ليس ساحراً ، وأن ما فعله ليس بسحر وإنما
هو معجزة إلهية.

﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ٤٦ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ ٤٨ ﴾ (٢)

(١) الشعراء (٣٢ ، ٣٣) .

(٢) الشعراء (٤٦ ، ٤٨) .



ثم تأتى معجزة انفلاق البحر لموسى وقومه

المعلوم أن قانون الماء هو: الاستطراق ، فلا يكون عاليا فى مكان ومنخفضاً فى مكان آخر ، لابد أن يتساوى سطحه ، ولذا فإننا عندما نقيس الارتفاعات ننسبها إلى سطح البحر فنقول هذا المكان يرتفع عن سطح البحر بكذا ، هذا هو قانون الكون الذى لا يعرف البشر سواه ، ولكن ما حدث للبحر عندما ضربه موسى بعصاه هو خرق لقوانين الكون ، فقد انشق البحر وانفلق إلى فرقين كل فرق كالطود أى الجبل العظيم الذى يقف عاليا حتى مر موسى وقومه ، ثم عاد كما كان، لماذا حدث هذا ؟ لماذا انفلق البحر إلى جزئين وتعطلت قوانين الماء؟

لأن موسى ﷺ رد الأمر إلى الله - سبحانه وتعالى - .. كيف ؟
حينما تبع فرعون وجنده قوم موسى عند هروبهم من مصر خوفاً من بطش فرعون ، ووصل موسى وقومه إلى شاطئ البحر ، وأحسوا أن جيوش فرعون وراءهم تلاحقهم ، قال قوم موسى:
﴿ إِنَّا لَمُذْرَكُونَ ﴾^(١) أى إننا هالكون لا محالة.

هذا كلام واقعى .. لأن البحر أمامهم وفرعون وجنده وراءهم ، والمسألة فى قوانين البشر واضحة لا تحتاج إلى بيان.

ولكن موسى ﷺ يرد عليهم بكل ثقة : كلا، قالها بملء فيه ، قالها وهو واثق تماماً ، لماذا؟ لأنه لم يزعم أنه سينجو بأسباب

(١) الشعراء (٦١) .



البشر، لم يقل سأنجو لأننا سنصعد جبل كذا ، أو سنعبّر البحر بطريقة كذا ، وإنما قال : ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١) .

لقد نقل موسى عليه السلام المسألة من قانون الإنسان إلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - وهنا أوحى الله - سبحانه وتعالى - لموسى : ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَتَنْفَلِقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) .

٣ - معجزة عيسى عليه السلام :

كانت ولادة عيسى عليه السلام معجزة .

وكلام عيسى عليه السلام وهو طفل صغير بعد ولادته مباشرة ليبرئ أمه معجزة. (٣) ولكننا سنتناول المعجزة التي أيده بها الله - سبحانه وتعالى - عندما كلفه بالرسالة .

عيسى عليه السلام جاء والقوم يعلمون الطب.. فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه.. فأبرأ الأكمه والأبرص (٤) .

وتسامى إلى ما هو أكبر وأعظم من ذلك إلى شيء لم يصلوا إليه.. فأحيا الموتى بإذن الله وقد أمره ربه أن يقول لقومه ما ورد في سورة آل عمران :

﴿أَنْتَ قَدْ جِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنْتَ أَخْلَقْتَ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتِ

(١) الشعراء (٦٢) . (٢) الشعراء (٦٣) .

(٣) قصة ولادة عيسى عليه السلام وكلامه في المهد جاءت في الآيات (١٦ - ٣١) من سورة مريم

(٤) الأكمه : الأعمى ، والأبرص : البرص مرض جلدى كان الشفاء منه مستعصيا .



يَاذْنِ اللَّهُ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ (١)

معجزة القرآن وكيف تختلف

١ - على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين.. معجزات الرسل خرقت النواميس.. وتحدث وأثبتت أن الذي جاء على يديه رسول صادق من الله.. ولكنها معجزات كونية.. من رآها فقد آمن بها.. ومن لم يرها صارت عنده خبراً.. إن شاء صدقه.. وإن شاء لم يصدقه.. ولو لم ترد في القرآن لكان من الممكن أن يقال إنها لم تحدث.. إذن فالمعجزة الكونية المحسنة.. أى التى يحس بها الإنسان ويراه.. تقع مرة واحدة.. من رآها فقد آمن بها.. ومن لم يرها تصبح خبراً بعد ذلك.. ولكن معجزة النبي ﷺ معجزة عقلية باقية خالدة.. يستطيع كل واحد أن يقول : محمد رسول الله.. وهذه معجزته وهى القرآن..

٢ - شئ آخر.. إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة.. وجدنا هذه المعجزات فعلاً من أفعال الله.. وفعل الله من الممكن أن ينتهى بعد أن يفعله الله ؛ البحر انشق لموسى ثم عاد إلى طبيعته.. النار لم تحرق إبراهيم ولكنها عادت إلى خاصيتها بعد ذلك.. ولكن معجزة النبي ﷺ صفة من صفات الله.. وهى كلامه.. والصفة باقية بقاء الموصوف..

(١) سورة آل عمران (٤٩)



اختلاف معجزة القرآن عن معجزات الرسل :

٣ - ويلاحظ أيضاً فى معجزة القرآن .. أنها اختلفت عن معجزات الرسل اختلافاً آخر.. كل رسول كانت له معجزة.. وله كتاب منهج.. معجزة موسى العصا .. ومنهجه التوراة .. ومعجزة عيسى الطب .. ومنهجه الإنجيل .. ولكن رسول الله ﷺ معجزته هى عين منهجه .. ليظل المنهج محروساً بالمعجزة .. وتظل المعجزة فى المنهج .. ومن هنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة فى نطاق التكليف .. بمعنى أن الله - سبحانه وتعالى - كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتاب .. أما القرآن فقد قال الله - سبحانه وتعالى - عنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١ ﴾ (١) لماذا ؟ ..

أولاً : لأن القرآن معجزة.. وكونه معجزة لابد أن يبقى بهذا النص وإلا ضاع الإعجاز..

ثانياً: لأن الله اختبر عباده فى الحفاظ على الكتب السابقة .. فنسوا حظاً مما ذكروا به .. والذين لم ينسوه كتموا بعضه .. والذين لم يكتموا يلوون ألسنتهم به ويحرفونه عن موضعه وهكذا نرى أنه كان هناك أكثر من نوع : المسخ^(٢) والنسيان والتحريف .. ثم جاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا بها ثمناً قليلاً..

(١) الحجر « الآية : ٩ » .

(٢) المسخ : هو تغيير الشئ إلى ما هو أقبح .



التطبيق والحفظ :

ومن هنا فإن الله - سبحانه وتعالى - قرر أن يحافظ على القرآن .. ولو أخذنا خطين .. خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه .. وخط المحافظة على القرآن .. نرى أن خط تطبيق القرآن كلما مر الزمن ضعف .. وخط المحافظة على القرآن كلما مر الزمن ازداد .. لو كنا نطبق المنهج تطبيقاً سليماً لكان هذا أمراً طبيعياً .. ولكن غفلتنا عن تعاليم القرآن كسلوك في الحياة لا تتمشى مع ازدياد الحفاظ على القرآن .. نجد القرآن في كل مكان .. في كل منزل ومكتب وسيارة .. حتى غير المسلم يحافظ على القرآن ويحمله .. فنجد شخصاً ألمانياً مثلاً يفكر في أن يكتب القرآن في صفحة واحدة .. بشكل جميل .. فلماذا يفعل ذلك مع القرآن .. قبل أن يفعله مع الكتب السماوية الأخرى ؟ .. وما الذي يجعل دولة كاليابان وإيطاليا تتفننان في طباعة المصحف بشكل جميل أنيق ؟ ! .. إن ذلك يحدث لأن الله - سبحانه وتعالى - يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن .. وكلما ابتعدنا عن المنهج .. ازددنا في حفظ القرآن والعناية به .. ليدل على أن الذي يحفظه هو الله .. وليس القائمون على المنهج.



معجزة القرآن للعالم كله والكفار يناقضون أنفسهم

القرآن يتحدى العرب :

فإذا حددنا هذه العناصر الثلاثة التي تمتاز بها معجزة القرآن^(١) .. ننتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى .. القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته .. جاء من جنس ما نبغ فيه العرب .. القوم الذين نزل فيهم .. قوم محمد ﷺ .. عُرفوا بالبلاغة والفصاحة وحسن الأداء وجمال المنطق، وسلاسة التعبير .. فيتحداهم القرآن فى هذا .. فلما سمعوه انبهروا^(٢) .. ولكن العناد أوقفهم .. قالوا ساحر.. والرد هنا بسيط جداً .. هل يملك المسحور اختياراً مع الساحر ؟ إذا كان محمد ساحراً .. فقد سحر الناس .. فلماذا لم يسحركم أنتم حتى تتبعوه ؟ .. إنما المسحور لا يخضع للساحر بإرادته .. ولا يأتى ليقول له سأصدق هذا السحر وأكذب بهذا السحر .. إنما المسحور مسلوب الإرادة أمام الساحر .. فكونكم تقولون إنه ساحر وأنتم لا تؤمنون به دليل على أنكم كاذبون ..

ثم قالوا : شاعر .. محمد لم يقل الشعر فى حياته .. وأنتم تعرفون .. فلماذا فجأة تتهمونه بالشعر .. ثم قالوا : مجنون. هل

(١) القرآن معجزة عقلية ، وهو كلام الله وصفته باقية ببقائه، ومعجزة القرآن هى نفس المنهج ليظل المنهج محروساً بالمعجزة وتظل المعجزة فى المنهج.
(٢) انبهروا: غلبوا على أمرهم ببلاغته. من بهره غلبه وفضله.



المجنون يكون على خلق؟ إنك لا تعرف إذا كان المجنون سيشتمك..
أو يقذفك بحجر لا تعرف ماذا سيفعل معك فى الدقيقة التالية فهل
المجنون يكون على خلق عظيم كالنبي ﷺ؟ الذى يعرفون خلقه
جيداً.. والذى كانوا يلقبونه قبل الرسالة بالأمين ويستأمنونه على
ودائعهم حتى بعد أن بعث .

الذى حدث أنهم انبهروا .. ذهّلوا .. هم ملوك البلاغة والفصاحة
وأساطينها^(١).. فجاءهم كلام أعجزهم .. وجدوا أنفسهم عاجزين..
فتخبطوا .. قالوا ساحر .. قالوا مجنون .. وقالوا أشياء لا تخضع
لأى منطق .. لأنهم من قوة المفاجأة فقدوا الحجة والمنطق ..
والقرآن يواصل التحدى أن يأتوا بمثله .. ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَاهِرًا ۝٨٨﴾ (٢) ثم يمعن فى التحدى ليقول بعشر سور ﴿أَمْ يَقُولُونَ
أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣﴾ (٣) ثم يمعن فى التحدى ليقول سورة من مثله
﴿وإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣﴾ (٤) كان هذا هو أول
إعجاز للقرآن .. معجزة تحدث القوم الذين نزل فيهم بما نبغوا فيه .

(١) أساطينها: أربابها العالمون بها والناخبون فيها.

(٢) سورة الإسراء : ٨٨ (٣) سورة هود : ١٣

(٤) سورة البقرة : ٢٣



ولكن التحدى فى القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم .. بل هى للعالم أجمع .. ومن هنا فقد كان إعجاز القرآن اللغوى .. هو تحديه للعرب فيما نبغوا فيه .. ولكن التحدى لم يأت للعرب وحدهم .. والقرآن جاء لكل الأجناس .. وكل الألسنة .. فأين التحدى .. لغير العرب ؟ .. ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة .. فلا بد أنه يحمل معجزة للعالم فى كل زمان ومكان .. ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن .. وقت نزوله وفى خلال فترة نزوله .. وبعد نزوله .. وهى مستمرة .. حتى يومنا هذا .. ستستمر إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله فى الأرض ..

معجزة القرآن تتحدى العالم

القرآن مزق حواجز الغيب :

حينما جاء القرآن تحدى فى أشياء كثيرة .. أولها أنه مزق حواجز الغيب .. مزق حواجز الزمان والمكان .. كيف ذلك ؟ حواجز الغيب ثلاثة .. أولها حاجز المكان .. أى أن أشياء تحدث فى نفس اللحظة .. ولكن لا أعرف عنها شيئاً .. لأنها تحدث فى مكان .. وأنا موجود فى مكان آخر .. ثم هناك حاجز الزمن الماضى .. وهو شئ حجب عني زمن مضى .. فأنا لم أشهده .. وحاجز المستقبل وهو ما سيحدث غداً لأن حاجز الزمن المستقبل .. قد حُجب عني فلم أشهده .. إذن فحواجز الغيب ثلاثة .. حاجز المكان .. وحاجز الزمن الماضى .. وحاجز الزمن المستقبل ..



إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضى.. فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة.. ويروى لنا قصص الرسل السابقين.. ويحكى لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها.. وعلى لسان مَنْ؟ على لسان نبي أمي.. لا يقرأ ولا يكتب، يحكى إذن أسرار الماضى، ويتحدى الذين يكذبون.. لقد مزق الله - سبحانه وتعالى - له حجاب وحاجز الزمن الماضى.. ويكفى أن تقرأ فى القرآن.. وما كنت وما كنت وما كنت.. لتعرف كم أخبر الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمدا ﷺ بأنباء من غيب الماضى، سنتناول بعضاً منها :

١ - يقول الله - سبحانه وتعالى - فى سورة « آل عمران » :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١)

هناك يا محمد فى بيت المقدس عندما اقترع كهان بيت المقدس أيهم يكفل ويرعى الطفلة المباركة مريم ابنة عمران، وكان والدها إمامهم وصاحب قربانهم وكلهم يتمنى كفالتها ورعايتها، وكان نبي الله زكريا ﷺ حاضراً معهم، وزوجته خالة تلك المولودة التى نذرتها أمها وهى فى بطنها أن تكون خالصة لخدمة بيت المقدس، ولما اقترعوا على من يكون كفيلها ومربيها كانت القرعة من نصيب نبي الله زكريا ﷺ (٢) ولكن الله هو الذى أخبرك ومزق لك حجاب الزمن الماضى.

(١) سورة آل عمران : ٤٤

(٢) قصة ولادة مريم فى سورة « آل عمران » الآيات : ٣٥ : ٣٧



٢- يقول الله - سبحانه وتعالى - فى سورة يوسف :

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١)

أى : وما كنت حاضرا يا محمد عندما حقد إخوة يوسف عليه وألقوه فى الجب، ثم كذبوا على أبيهم حينما رجعوا عشاء فادعوا أن الذئب قد أكله، وأكدوا ادعاءهم بتلويت قميصه بدم كذب قدموه لأبيهم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - أنجاه من مكرهم ورفعهم فوقهم، حيث جعله على خزائن الأرض، ولما أصابهم القحط جاءوا يطلبون منه المدد والعون، وهم لا يعرفونه، فما كنت تعرف ذلك ولكن الذى أخبرك بذلك هو الله - سبحانه وتعالى - ، فى كتاب لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

٣- ونأتى إلى سورة القصص لتحكى لنا الآيات جانباً من اختراق القرآن الكريم لحجاب الزمن الماضى فيما حدث لنبي الله موسى عليه السلام : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْنِ إِذْ فَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)﴾ (٢)

(١) سورة يوسف : ١٠٢

(٢) سورة القصص : ٤٤ - ٤٦



وهكذا نرى أن القرآن مزق حجاب الزمن الماضى فى أكثر من مناسبة ليخبر محمداً ﷺ بالأخبار الصحيحة عن سبقوه من الرسل ، لقد ضربنا نماذج لما جاء فى القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة والرسل السابقين، ومن أراد الاستزادة فليفتح كتاب الله ليتزود بما أخبر به عن خلق الكون بما فيه من سماوات وأرض وبحار وأنهار وجبال وشمس وقمر ونجوم وحيوانات وطيور..... إلخ. ويقرأ فيه قصة خلق آدم ﷺ أبو البشرية وأول إنسان خلقه الله وقصة ابنه قابيل وهابيل وقصص الأنبياء من بعد آدم وحتى محمد ﷺ.

ولم يكتف القرآن بذكر الرسل السابقين بل وصح ما حُرِّف من الكتب السماوية التى أنزلها الله وحرفها الرهبان والأخبار.

بل إن الإعجاز هنا جاء فى تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التى سبقت القرآن.. وكان محمد ﷺ يتحدى بالقرآن أخبار^(١) اليهود ورهبان النصارى.. ويقول لهم هذا من عند الله.. فى التوراة أو الإنجيل.. وهذا حرفتموه فى التوراة أو الإنجيل.. ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدى أو يردوا عليه.. ذلك أن التحدى للقرآن فى تمزيق حجاب الزمن الماضى.. وصل إلى أدق أسرار الرسائل السماوية الماضية فصحتها لهم.. وبيّن ما حُرّفوه منها وما أخفوه.. وتحداهم أن يكذبوا ما جاء فى القرآن فلم

(١) أخبار : بعض رجال الدين اليهودى والرهبان والقسس رجال الدين المسيحى.



يستطيعوا.. ومن ذلك قوله - تعالى - فى سورة مريم ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (١).

ثم جاء الأمر الثانى.. فمزق الله حجاب المكان لمحمد ﷺ.. وجاء فى أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس.

وهنا وقبل أن نبدأ.. أحب أن نضع فى أذهاننا جيداً أن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته.. وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرفه ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد ﷺ مأخوذة عليه.. فإذا أخبر القرآن بشىء.. واتضح أنه غير صحيح.. كان ذلك هدمًا للدين كله..

يأتى القرآن متحدثاً عن المنافقين فى سورة المجادلة قائلاً : ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ (٢) .. ما معنى هذا الكلام؟ معناه إمعان فى التحدى.. فالقرآن هنا لا يقول لهم لقد هتكت حاجز الماضى.. وأخبرتكم بأنباء الأولين .. ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور فى بقعة قريبة لا ترونها بل يقول: سأهتك حاجز النفس.. وأخبركم بما فى أنفسكم .. بما فى داخل صدوركم.. بل بما تهمس به شفاهكم.. وقال فى كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولا يتبدل.. قال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ

(٢) سورة المجادلة : ٨

(١) سورة مريم : ٣٤

(٣) هتكت : مزقت



حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ . وقد نزلت هذه الآية فى فريقين من يهود المدينة :

الفريق الأول : كانوا كلما مر بهم رسول الله ﷺ والمسلمون، تهامسوا وتناجوا ليغيظوا الرسول والمسلمين، وكان رسول الله ﷺ ينهاهم عن ذلك فيعودون إلى ما نهوا عنه، وهو التهامس والنجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

الفريق الثانى : كانوا إذا مروا بالرسول قالوا : السام عليكم بدلا من السلام عليكم، ينطقونها بسرعة حتى لا يفهمها السامعون، ولكن رسول الله ﷺ كان يفهم ما يقولون فبيّن لأصحابه مكرهم، وعلمهم أن يردوا عليهم ما قالوا ، فيقولون لهم: وعليكم.

قال : ما يدور فى أنفس غير المؤمنين.. فهل هناك أكثر من هذا تحدياً.. لحجاب المكان.. إنه تحد فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التى وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان.

بل إن التحدى ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على إخفائه.. فالإنسان حين يحرص على إخفاء شىء.. ويكون غير مؤمن يأتى إليك فيحلف لك بأن هذا صحيح وهو غير صحيح فى نفسه فقط..

(١) سورة المجادلة : ٨



ولكن حرصه فى أن يخفيه على الناس يجعله يؤكد أنه صحيح بالحلف.

ويأتى الله - سبحانه وتعالى - فيجعل القرآن يمزق نفوس هؤلاء الناس.. ويظهر ما فيها إمعاناً فى التحدى.. ويقول الله - سبحانه وتعالى : ﴿ وَسِيحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا مَخْرَجًا مَّعَكُمْ يَبْلُغُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) .. ويقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِرِضْوَانِهِمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .. ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

ثلاث آيات نزلت فى منافقى المدينة الذين كانوا يظهرن الإيمان ويخفون فى صدورهم الكفر والحد على الإسلام والمسلمين.

الآية الأولى : كشفت عما سيقوله المنافقون للرسول والمسلمين عند رجوعهم إلى المدينة من غزوة تبوك بعد أن تخلفوا عنها، وسوف يحلفون لهم معتذرين؛ حتى لا يؤنبهم على تخاذلهم وتخلفهم.

والآيتان الثانية والثالثة : تكشفان أن هؤلاء المنافقين يوالون المسلمين فى الظاهر، ويوالون الكفار فى الباطن، ويحلفون لكل فريق أنهم معهم، والحقيقة أنهم ليسوا مع الكفار ولا مع المسلمين إنما هم منافقون إذن فالقرآن هنا جاء لأناس غير مؤمنين.. وهتك حاجز النفس بالنسبة لهم فأخرج ما فى صدورهم وعراهم أمام الناس

(١) التوبة : ٤٢ .

(٢) التوبة : ٩٦ .

(٣) المجادلة : ١٤ .



جميعاً.. وفضح كذبهم.. ونشر على الدنيا كلها ما فى صدورهم من كذب ورياء ونفاق.. أى أنه أهانهم أمام المجتمع كله.. ولو كان هذا غير صحيح لقال هؤلاء القوم إننا لم نكذب.. إننا لصادقون.. والكلام الذى يدعيه محمد بأنه يأتى من عند الله كلام غير صحيح... ولكن هؤلاء بُهتوا من أن القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا ردّاً.. وبُهِتُوا لأن الله أخرج ما فى صدورهم.. وعراهم أمام الناس جميعاً.. فلم يفعلوا شيئاً أكثر من أنهم تواروا (١) بعد أن افترضت حقيقتهم.. ولو كان من عند غير الله لما استطاع أن يصل إلى داخل النفس البشرية.. وهى من أدق أسرار الدنيا التى لم يستطع علم أن يصل إليها حتى الآن.. فإذا بالقرآن يأتى متحدياً بكلام متعبد به إلى يوم القيامة لا يستطيع أحد تبديل حرف فيه ليكشف ما فى داخل النفس.. ويعرى ما تكتمه عن الناس جميعاً.. وما هى حريصة على كتمانها.. حتى أنها تحلف باسم الله كذباً ليصدقها الناس.. يأتى القرآن فيمزق هذا كله.. أتريد إعجازاً أكثر من ذلك؟..

ثم بعد ذلك مزّق القرآن حجاب المستقبل.. كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل.. المرحلة المعاصرة.. لكى يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون أنه الحق.. ومرحلة المستقبل البعيد لكى يعرف كل عصر من العصور التى ستأتى بعد نزول القرآن أن هذا هو كتاب الله الحق.. ومن هنا كان التحدى.. بالنسبة

(١) تواروا : اختفوا .



للمعاصرين عن أحداث قريبة .. وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله .. وهنا أحب أن أنبه إلى شيء هام جداً هو استخدام حرف السين فى القرآن .. فحرف السين كما نعرف فى اللغة العربية لا يستخدم إلا بالنسبة لأحداث مستقبلية .. والقرآن محفوظ ومتعبد به وبتلاوته .. وسيظل محفوظاً حتى يوم الساعة .. ومعنى ذلك أنه لا يمكن تغييره أو تغييره أو إنكاره من أحد من المتعبدين به .. بل إنه سيظل يُتلى هكذا كما أنزل .. إذن فإنباء القرآن بأحداث مستقبلية يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها .. ويطعن الدين فى صميمه .. خصوصاً إذا تبين أن ما تنبأ به القرآن غير صحيح .. ومن هنا فلا بد أن يكون قائل القرآن متأكداً من أن هذا سيحدث فى المستقبل. مَنْ مِنَ البشر يستطيع أن يتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة واحدة؟ فما بالك بعد أيام.. وسنوات؟! .. الجواب.. لا أحد.. ذلك أن قدرة البشر فى صنع الأحداث محدودة.. فقد حجب عنهم الزمن.. وحجب عنهم المكان.. فلو قلت مثلاً إننى سأبنى عمارة فى هذه البقعة بعد عام.. أنا لا أضمن أننى سأعيش حتى الساعة القادمة.. وبذلك لا أستطيع أن أحكم إذا كنت سأكون موجوداً هناك أم لا.. هذه واحدة..

ثانياً قد تأتى الحكومة مثلاً وتبنى مستشفى فى هذا المكان.. أو قد يقام فى هذا المكان سوق أو شارع فأنا لا أستطيع أن أجزم فى شيء مادى سيحدث بعد فترة زمنية محدودة.. ولكن الذى يستطيع أن يقول هذا يقينا هو الذى يملك القدرة.. ومن هنا فإنه يستطيع أن يقول يقينا : إن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن.. والذى يملك ذلك



هو الله - سبحانه وتعالى - .. فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد آلاف السنين فإن ذلك فوق طاقة البشر جميعاً.. لقد أنبأ القرآن بما سيحدث بعد أعوام قليلة.. وبما سيحدث بعد آلاف السنين.. فالذى قال هذا هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقيناً وهو الله - سبحانه وتعالى - .. انظر إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ۝١٥﴾ (١) .

لقد نزلت سورة القمر هذه فى مكة والمسلمون قلة .. وأذلة .. حتى أن عمر بن الخطاب قال : أى جمع هذا الذى سيهزم ونحن لا نستطيع أن نحمل أنفسنا؟ وهكذا يتنبأ القرآن بأن الإسلام سينتصر .. فى مكة .. وأن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام فى مكة سيهزمون ويولون الأدبار .. ويتنبأ بها متى ؟ والمسلمون قلة .. وأذلة .. لا يستطيعون حماية أنفسهم .. ويطلقها قضية .. وهو على يقين من أن الله الذى قالها سيحققها .. وبعد ذلك نجد عجباً .. الوليد بن المغيرة العدو الألد (٢) للإسلام .. والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده .. يأتى القرآن ويقول هذا الإنسان المكابر العنيد .. ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ (٣) .. أى أنه سيقتل بضربة على أنفه.. ويحدد موقع الضربة .. وبعد ذلك يأتى فى بدر .. فتراه قد وسم على خرطوميه .. أى ضرب على أنفه .. من الذى يستطيع أن يحدد موقع الضربة ومكانها .. من الذى يستطيع أن يجزم .. ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة ؟ ..

(١) سورة القمر : ٤٥ . (٢) الألد : الشديد العداوة.

(٣) نسمة : نعلمه بعلامة، الخرطوم: الأنف. (القلم ١٦).



أحداث المستقبل وتحدى القرآن

(١) تحدى القرآن للعرب

نأتى بعد ذلك إلى آية أخرى .. الرسول ﷺ يأتى فيقرأ قول الله
- سبحانه وتعالى - .. ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ
مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ
حَمَالَةٌ أَلْهَطٍ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ (١).

.. هذا قرآن .. وفيمن .. ؟ فى عم الرسول .. وفيمن .. ؟ فى عدو
الإسلام .. ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية ؟
ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن ؟ ضد هذا
الدين .. قالت له الآية : يا أبا لهب أنت ستموت كافراً ، ستموت
مشركاً ، وستعذب فى النار .. وكان يكفى أن يذهب أبو لهب إلى أى
جماعة من المسلمين .. ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن
محمداً رسول الله .. يقولها نفاقاً .. يقولها رياءً (٢) .. يقولها ليهدم بها
الإسلام .. لا ليدخل فى الإسلام .. يقولها ثم يقف وسط القوم يقول:
إن محمداً قد أنبأكم أننى سأموت كافراً .. وقال إن هذا كلام مبلغ له
من الله .. وأنا أعلن إسلامى لأثبت لكم أن محمداً كاذب .. لو كان
أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا .. ولكن حتى هذا
التفكير لم يجرؤ عقل أبى لهب على الوصول إليه .. بل بقى كافراً

(١) سورة المسد . ومعنى المسد : الليف الخشن .

(٢) الرياء : الكذب والنفاق .



مشركا، ومات وهو كافر.. ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافرا أمرا ممكنا.. لأن كثيرا من المشركين اهتموا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب.. وغيرهم.. كانوا مشركين وأسلموا.. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقا.. وسيموت وهو كافر؟! .. المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو.. وتحدها في أمر اختياري.. كان من الممكن أن يقوله ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث.. لماذا؟ لأن الذي قال هذا القرآن.. يعلم أنه لن يأتي إلى عقل أبي لهب تفكير يكذب به القرآن.. هل هناك إعجاز أكثر من هذا.

(ب) تحدى القرآن لغير العرب

أنتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية.. وهى ماذا حمل القرآن لغير العرب فى عصره؟ ولغير العرب والدنيا كلها بعد عصره؟ أى ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله فى الأرض وقوانينه التى كانت غيبا على البشرية كلها فى عصره وبعد عصره؟ هنا الأمثلة كثيرة.. والمجال لا يتسع لها كلها.. ولكنى سأحاول أن أبين عددا منها فيما يختص بالإعجاز فى عصر القرآن لغير العرب.. فقد كان هناك أمتان كبيرتان إمبراطوريتان بجانب الجزيرة العربية.. هما الروم والفرس.. الروم أمة مؤمنة.. أهل كتاب^(١).. ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد إلا أن هناك عندهم إيمانا بوجود الله.. والقيم السماوية.. والفرس

(١) الروم : كانوا على دين المسيح (مسيحيون) .



كانوا أهل كفر وإلحاد فى ذلك الوقت^(١) .. لا يؤمنون بأى دين من الأديان .. إذن فأيهما أقرب إلى قلب المؤمنين ؟ .. الروم باعتبارهم أهل كتاب .. وأيهما أقرب إلى قلب الملحدين والكفار .. الفرس باعتبارهم مشركين وكفرة .. قامت الحرب بين الدولتين .. فهزم الروم وانتصر الفرس .. وهنا فرح المشركون لأن الكفر قد انتصر .. وحزن المؤمنون لأن نوعاً من الإيمان قد انهزم .. وهنا يتدخل الله - سبحانه وتعالى - ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن .. فيقول فى كلام محفوظ متعبداً بتلاوته لن يجرؤ ولن يستطيع أحد أن يغير فيه .. يقول :

﴿ ١ ۞ غَلَبَ الرُّومُ ۝ فِي آذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ ٢ ۞ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ٣ ۞ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ ٤ ۞ ﴾^(٢)

ثم يمضى القرآن ليمعن فى التحدى ..

﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ٥ ۞ ﴾^(٣)

ما هذا ؟ أيستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين ؟ هل يستطيع قائد عسكري مهما بلغت قوته وعبقريته ونبوغته أن يتنبأ بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ؟ فما بالك أن ذلك يأتى ويقول إنه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر فيها الروم .. هل

(١) الفرس : كانوا يعبدون النار (مجوس) .

(٢) سورة الروم الآيات : ١-٥ . (٣) سورة الروم من الآية ٦ .



أمن محمد ﷺ على نفسه أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة .. ولقد وصل الأمر بأبى بكر رضى الله عنه .. أنه راهن على صحة ما جاء به القرآن.. إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى.. هذا هو القرآن.. كلام الله.. وأساس الإيمان كله.. يأتى ويخبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب.. ويقول الكفار : إن القرآن كاذب.. فيقول المؤمنون : إن هذا صدق.. ويحدث رهان بين الاثنين..

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة بين الروم والفرس ؟ أو لو أنه حدثت معركة وهُزم فيها الروم ؟ أكان بعد ذلك يصدق أى إنسان القرآن ؟ أو يؤمن بالدين الجديد ؟ ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذى يجعله يدخل فى قضية غيبية كهذه لم يطلب منه أحد الدخول فيها ؟ أضيع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد ؟ ولم يتحده فيها إنسان ؟ ولكن القائل هو الله .. والفاعل هو الله .. ومن هنا كان هذا الأمر الذى نزل فى القرآن يقينا سيحدث .. لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان .. وحجاب المكان .. ولا أى حجاب وهو الذى يقول ما يفعل .. ومن هنا حدثت الحرب .. وانتصر الروم على الفرس فعلا .. كما تنبأ القرآن ..

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين فى وقت نزوله.. أى أنه لم يتحد العرب وحدهم.. بل تحدى الكفار والمؤمنين من غير العرب.. بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بسبع أو ثمانى سنوات.. تحداهم بهذا علمهم يؤمنون.



الخلاصة :

إذا انتهينا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب فى وقت نزوله .. ولكننا قلنا إن القرآن ليس له زمان .. وليس له مكان .. وأنه سىظل حتى قيام الساعة .. فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة؟! .. لابد أن يكون للقرآن معجزة دائمة .. أن يعطى عطاءً لكل جيل لم يعطه للأجيال السابقة ..

وقد كان .. جاء فى القرآن أشياء لو أن أحدا أخبر بها وقت نزوله لاتهم الذين قالوها بالجنون .. ولكنها جاءت للعصور القادمة، جاءت لتتحدى عبر الأجيال إلى يومنا .. وإلى الأيام القادمة ..



مناقشة الفصل الأول

١- أكمل العبارات التالية :

(أ) القرآن الكريم هو كلام الله - سبحانه وتعالى - المنزل على

(ب) تحدى الله - سبحانه وتعالى - بالقرآن و

(ج) لم يتحد الله - سبحانه وتعالى - الملائكة لأنهم

٢- لماذا يؤيد الله - سبحانه وتعالى - رسله بالمعجزات ؟

٣- ما وجه الإعجاز فى قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ؟

٤- اختر التكملة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى:

- كان قوم إبراهيم يعبدون (الأصنام - الكواكب - النار).

- الروم أقرب إلى قلب: (المؤمنين - الكفار - المنافقين).

٥- وضع الفرق بين معجزة القرآن ومعجزات الرسل السابقين.

٦- قال الله - سبحانه وتعالى - فى سورة «القلم» ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾ .

(أ) هات معنى «سنسمه» وبين المراد بـ «الخرطوم».

(ب) فيمن نزلت هذه الآية الكريمة؟ وما وجه الإعجاز فيها؟

(٧) تنبأ القرآن الكريم بأن أبا لهب سيموت وهو كافر عندما نزلت



سورة «المسد».

- ما وجه التحدى فى ذلك؟ وهل كان أمام أبى لهب فرصة لنقض هذا التحدى؟

٨- قال الله - سبحانه وتعالى - فى سورة « الروم » ..

﴿ ١ ﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿ ٢ ﴾ فِي آَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ ٣ ﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٤ ﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٥ ﴾

(أ) تخير التكملة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى:

- الآيات تتحدث عن معركة بين: (الروم والعرب - الروم والفرس - الروم واليهود).

- مزقت هذه الآيات حاجر: (الزمن الماضى - الزمن المستقبل - المكان).

(ب) لماذا يفرح المسلمون بانتصار الروم على الفرس؟

(ج) ما وجه الإعجاز فى الآيات الكريمة؟

٩- اكتب بحثاً عن معجزات الأنبياء مستعيناً بمكتبة المدرسة.

١٠- استعن بالحاسب الآلى فى إعداد إحصاءات عن:

عدد سور القرآن الكريم، عدد الآيات المكية والمدنية، وعدد الكلمات فى القرآن الكريم.



الفصل الثانى

وشهدوا للقرآن وهم كافرون

إن إعجاز القرآن لم يتوقف .. ولن يتوقف .. وإذا كان القرآن قد تحدى الكفار فى عصر نزوله بأن أنبأهم بما يدور داخل صدورهم .. وأنبأهم بمصائرهم .. فإنه يتحدى الكفار حتى فى هذا الزمان .. فى هذا الوقت الذى نعيش فيه بل ويستخدمهم .. فى ماذا .. فى إثبات قضية الإيمان .. إن هدف الكفار والمضلين عن سبيل الله هو إنكار هذا الدين .. وإنكار وجود الله .. ولكن القرآن جاء .. وبعد أربعة عشر قرناً .. ليستخدم الكفار فى إثبات أن دين الله حق .. وأن هذا الكتاب هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ .. وهذا هو موضوعنا :

الحقائق الكونية فى القرآن الكريم

مقدمة :

عندما يقول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿الْقُرْآنَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نُورَاتٍ خُتِلَفًا أَلْوَنًا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ الْأَتْعَمُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ ۚ﴾ (١) فإننا نرى أن الله

(١) فاطر : ٢٧ ، ٢٨ .



– سبحانه وتعالى – تكلم عن الجماد.. وتكلم عن النبات.. وتكلم عن الحيوان والإنسان.. ثم يقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) العلماء فى ماذا ؟.. فيما يتعلق بخلق الله من الجماد والحيوان والنبات والإنسان..

ولذلك جاء الله – سبحانه وتعالى – بالمتناقضات الموجودة فى النوع الواحد.. لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات..

أولا - النبات :

عند قوله – تعالى – : ﴿ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ كان يجب أن نلتفت إليها.. لماذا اختلفت ألوانها.. وما هى العلاقة بين الألوان والطبيعة.. مثلا حينما يتغذى النبات وجد من الدراسة أنه يتغذى بواسطة خاصية الأنابيب الشعرية.. وهنا نقف قليلا.. هل هذه الأنابيب الشعرية تميز.. هل تستطيع التمييز؟ .. إذا جئنا بحوض.. ووضعنا فيه سائلا مذابا فيه أصناف مختلفة.. ثم جئنا بالأنابيب الشعرية.. هل كل أنبوبة ميزت عنصرا أخذته؟.. أم أن كل أنبوبة أخذت من جميع العناصر؟.. وهى مذابة.. لكن النبات ليس هكذا إننى أزرع الحنظل بجانب القصب.. فيخرج هذا حلوا.. وهذا مرا.. هذا يأخذ عناصره وهذا يأخذ عناصره من نفس التربة.. هناك اختيار.. ومن هنا ظهر ما سمي بخاصية الانتخاب.. والانتخاب معناه الاختيار بين بديلات.. أى أنك تترك

(١) فاطر : ٢٨ .



هذا وتأخذ.. ولذلك قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿يُسْقَى يَمَاءٌ
وَحِيدٌ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾^(١) لكن خاصية الأنابيب الشعرية.. تتعامل مع السائل
كله.. بلا تمييز.. ومن هنا نعرف أن الخاصية شىء.. واختيار
النبات للعناصر الغذائية التي يريدها أو يحتاجها شىء آخر.

ثانيا : الجماد :

نأتى بعد ذلك للجماد .. يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَنْ
الْجِبَالِ جُدُودٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَبِيبٌ سُودٌ﴾ .. هذا علم
الجماد.. وهو علم الآن فيه مجلدات.. ثم بعد ذلك الإنسان..
أجناس الوجود كلها.. ثم بعد ذلك قال الله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .. العلماء فى ماذا.. بهذه كلها.. إذن كلمة
العلماء أطلقت على من يتفكر فى خلق الله .. سواء كان جمادا أو
حيوانا أو نباتا.. والذهن النشط يستطيع أن يصل إلى هذه العلوم
الأرضية.. بالملاحظة والتجربة.. والدليل على ذلك إذا استعرضت
تاريخ أى مخترع من المخترعات فى الكون التى أراحت الناس..
تجد أنها نتيجة لإنسان قد لاحظ بدقة.. ولم تمر عليه المسألة
كباقي الناس ، والعلم مكانه المعمل والملاحظة والتجربة.

(١) الرعد : ٤ .



نحن نتجاوز علم الأرض

ثالثاً : الإنسان والبحث فى الروح :

ولكننا أحيانا نتجاوز موضوع العلم .. موضوع التجربة والمعمل .. وذلك عندما أقول مثلاً الروح قبل المادة .. أو المادة قبل الروح .. فهذا بحث فى عنصرى تكوين الإنسان الذى لم نشهد خلقه .. ولا نستطيع أن نجرى عليه أى تجربة ..

إن هذا يدخل فى علم الله .. فهو الذى خلق .. وهو الذى يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق .. ولذلك يقول الله - سبحانه وتعالى :- ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ^(١) . إذن

فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى إلى نتيجة .. لماذا ؟ لأننا لم نحضر التجربة .. ولم نرها بالعين .. ولا نستطيع أن نجريها أو نقوم بها .. ولكن بالأذن سمعنا عن الله .. وهذا أمر غيبى عنا .. وما دام الأمر غيبياً عنا .. فإن الله الذى خلقنى هو الذى يحدثنى .. كيف خلقت ؟ . أما أنا فإننى لا أعرف كيف خلقت ؟ .. ومن هنا فإننى لا يمكن أن أتحدث علمياً عن العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان .. وأيهما جاء أولاً .. وإذا صمم أحد على أن يبحث فى هذا .. يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه عن جهل لا يضره .. لأنه لن يستطيع أن يدل على

(١) الكهف : ٥١ .



ما يقول علميا .. وبالتجربة أنا أستطيع أن أمسك المادة وأدخلها
المعمل .. ولكن لا أستطيع أن أمسك الروح وأدخلها إلى المعمل ..

العلم التجريبي لا اختلاف فيه :

والعلم يجب أن يتم على مادة صماء .. يمكن أن تدخل في المعمل
الأصم .. وتعطى حقائق صماء .. أليست هذه هي الحقيقة ؟ والدليل
على ذلك أن المعسكرات المتصارعة لا تختلف في مذاهب العلم ولكنها
تختلف في مذاهب الهوى والنظريات .. لا توجد هناك كهرباء أمريكية
.. وكهرباء روسية ولا توجد كيمياء إنجليزية .. كل علم الكيمياء في
أى دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التى
لا هوى لها .. وبهذا تكون النتيجة واحدة .. سواء كان المعمل
إنجليزيا أو أمريكيا أو سوفيتيا .. أو أى معمل من معامل الدنيا ..
ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات .. فإذا
جئنا إلى مذاهب الهوى .. هوى النفس .. نجد أنها متناقضة .. ليست
مختلفة .. ولكنها متناقضة .. هذا على النقيض من ذلك .. رأسمالية
وشيوعية .. إيمان .. وإلحاد .. وإنكار للديانات لماذا ؟ لأن هوى النفس
دخل هنا فأفسد القضية العلمية وأضاع حقائقها .

فإذا أخذنا خلق الإنسان مثلا .. فإننا نأخذ هذا الخلق عن الله
- سبحانه وتعالى - الذى خلق . ماذا قال الله - سبحانه وتعالى - قال



عز وجل خلقتك من تراب، جاء ذلك فى سورة آل عمران الآية ٥٩ والكهف الآية ٣٧، والحج الآية ٥ ، والروم الآية ٢٠، وفى سورة فاطر الآية ١١، وغافر الآية ٦٧، قال الله - سبحانه وتعالى - خلقتك من طين، جاء ذلك فى سورة الأنعام آية ٢، والأعراف آية ١٢، والمؤمنون آية ١٢، والسجدة آية ٧، والصفات آية ١١، وفى سورة «ص» الآيتان ٧٦، ٧١. وقال أيضا.. من صلصال من حمأ مسنون فى سورة الحجر فى الآيات: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

وقال - سبحانه وتعالى - من صلصال كالفخار فى سورة الرحمن ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (١).

هذه ليست تناقضات فى خلق، أو تناقضات فى مادة الخلق نفسها وهى التراب، بل إن الله - سبحانه وتعالى - يبين لنا أطوار هذه المادة من التراب إلى الطين إلى الحمأ إلى الصلصال، إنها المراحل التى مر بها خلق الجسد البشرى من تراب إلى ما قبل نفخ الروح فيها، وسوف نعود إلى ذلك عند حديثنا عن العلاقة بين جسد الإنسان والقشرة الأرضية الخصبة.

(١) الرحمن : ١٤ .



« من وجوه الإعجاز »

١ - الكفار يشهدون بصحة القرآن

ونعود إلى الآية الكريمة، ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تَخِذُ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ٥١ ﴾^(١) ما معنى كلمة مضل ؟ كلمة مضل تعنى أن هناك قضية حق .. وأن هناك إنسانا يريد أن يضللنى ويعطينى عكس القضية .. غير الحقيقة وهو الضلال .. هذا هو معنى مضل .. إذن قول الله ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَخِذُ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ٥١ ﴾ .. أى أننى فى ساعة الخلق لم أطلب العون أو المساعدة أو المشورة .. أو النصيحة .. من هؤلاء المضلين ... وإلا لو كان حدث ذلك .. ثم جاءوكم يخبرونكم كيف تم خلق السماوات والأرض ؟ وكيف خلقتكم أنتم ؟ لكان لكم العذر فى تصديقهم .. ولكن ماداموا لم يشهدوا الخلق .. ولم أطلب معونتهم .. فإن ما سيقولونه لكم غير واقع .. غير صحيح .. إنه إضلال .. وهذه معجزة من معجزات القرآن .. فقد قال لنا الله .. إنه سيكون هناك مضلون .. وأن هؤلاء المضلين سيحاولون أن يقولوا لكم غير الحق فى قضية خلق السماوات والأرض .. وفى قضية خلق الإنسان .. فلا تصدقوهم لأننى لم أستعن بهم ساعة الخلق .. ولم يكونوا موجودين .. إذن لو لم يحدث أن جاء أناس يضلون عن سبيل الله .. لقلنا إن القرآن غير

(١) الكهف : ٥١



صحيح .. لأنه أين المضلون ؟ ولو وجد المضلون وتناولوا قضية أخرى غير خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان.. لقلنا إن القرآن غير صحيح.. لأنه يوجد من يضل عن سبيل الله.. ولكنه لا يتناول فيما يقول قضية خلق السماوات والأرض.. ولا قضية خلق الإنسان.. ولكن كون المضلين جاءوا وكونهم تحدثوا عن قضية خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم.. وهل المادة قبل الروح ؟ أم الروح قبل المادة ؟ كون هؤلاء جاءوا.. وكونهم تناولوا قضية خلق السماوات والأرض.. وخلق الإنسان.. فهذا إثبات لما جاء فى القرآن عنهم.. وكأن هؤلاء المضلين الذين جاءوا ليصدوا عن سبيل الله إنما قدموا خدمة كبيرة للدعوة الإسلامية.. وللقرآن.. بأنهم أثبتوا بكفرهم صحة القرآن.. وصحة آياته.. أترى إعجازا أكثر من ذلك؟ يستخدم الله الكفار الذين يضلون عن سبيله.. ويحاولون تكذيب القرآن.. يستخدمهم الله - سبحانه وتعالى - ليقوموا وهم لا يدرون بإثبات صحة الدين الذى يحاولون أن يهدموه.. وبإثبات وجود الله - سبحانه وتعالى - وهم يريدون أن ينكروه.. فيقول فى قرآن نزل منذ أربعة عشر قرنا.. إن هناك من سيأتى ليضل عن سبيل الله.. ويتخذ من قضية خلق السماوات والأرض والإنسان مادة لهذا الإضلال.. وكل ما سيقولونه هو غير الواقع.. وأنا أنفى من الآن ما سيقولونه بعد مئات.. أو ألوف السنين.. وأقول لكم إنه غير صحيح.

إذن فمجيئهم وأقاويلهم الكاذبة خير دليل على صدق القرآن المنزل على الرسول الأمين فى بلاغه عن الله - سبحانه وتعالى -..



العلاقة بين جسد الإنسان والقشرة الأرضية الخصبة

إذن فخالق الإنسان هو الله.. وخالق السماوات والأرض هو الله وهذا أمر غيبى نأخذه عن خلق.. إلا أن الحق - سبحانه وتعالى - حين يعرض قضية غيبية.. فإنه ينير طريق العقل دائماً بقضية نحسها ونشهدا.. تقرب القضية الغيبية التي يتحدث عنها فالله خلقني من تراب.. من طين.. من حمأ مسنون.. من صلصال كالفخار.. ثم نفخ فيه من روحه.

إذا أخذنا التراب.. ثم نضيف إليه الماء فيصبح طينا.. ثم يترك لتتفاعل عناصره فأصبح حمأ مسنوناً كالذي يستخدمه البشر في صناعتهم.. ثم يجف فيصبح صلصالاً.. هذه أطوار خلق الجنس البشرى.. والبشر تم خلقهم من الطين.. من الأرض..

فإذا جئنا للواقع.. فلنسأل أنفسنا: الإنسان مقومات حياته من أين؟ من الأرض.. من الطين.. هذه القشرة الأرضية الخصبة هي التي تعطي كل مقومات الحياة التي أعيشها.. إذن فالذي ينمي المادة التي خلقت منها هو من نفس نوع هذه المادة.. وهي الطين.. ولقد حل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكوناً من ستة عشر عنصراً.. أولها الأوكسجين.. وآخرها المنجنيز.. والقشرة الأرضية الخصبة مكونة من نفس العناصر.. إذن عناصر الطين المخصب هي نفس عناصر الجسم البشرى الذي خلق منه.. هذا أول إعجاز.. وهذه



تجربة معملية لم يكن هدفها إثبات صحة القرآن أو عدم صحته ..
ولكنها كانت بحثاً من أجل العلم الأرضى .

٢- الموت دليل على الحياة لأن الموت نقض لها :

ولقد جعل الله - سبحانه وتعالى - .. من الموت دليلاً على قضية الخلق .. فالموت نقض للحياة .. أى أن الحياة موجودة .. وأنا أنقضها بالموت .. ونقض كل شئ يأتى على عكس بنائه .. فإذا أردنا أن نبني عمارة نبدأ بالدور الأول .. إذا أردنا أن نهدمها نبدأ بالدور الأخير .. إذا وصلت إلى مكان وأردت أن أعود .. أبدأ من آخر نقطة وصلت إليها .. إنها تمثل أول خطوة فى العودة .. ونحن لم نعلم عن خلق الحياة شيئاً .. لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق .. ولكننا نشهد الموت كل يوم .. والموت نقض الحياة .. إذن هو يحدث على عكسها .. أول شئ يحدث فى الإنسان عند الموت . أن الروح تخرج .. وهى آخر ما دخل فيه .. أول شئ يخرج الروح .. إذن آخر شئ دخل فى الجسم هو الروح .. ثم تبدأ مراحل عكس عملية الخلق .. يتصلب الجسد .. هذا هو الصلصال .. ثم يتعفن فيصبح رمة .. هذا هو الحمأ المسنون .. ثم يتبخر الماء من الجسد ويصبح الطين تراباً .. ويعود إلى الأرض .. إذن مراحل الإفناء التى أراها وأشهدها كل يوم هى عكس مراحل الخلق .. فهناك الصديق فى مادة الخلق .. والصديق فى كيفية الخلق .. كما هو واضح أمامى من قضية نقض الحياة وهى الموت ..



الحياة نفخ من روح الله

شئ آخر.. يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٢٩). (١). معنى ذلك أن الحياة فى الإنسان بدأت بالنفخ فيه من روح الله وبماذا ستنتهى الحياة ؟ تنتهى بخروج الروح فلا نفس فيه .. فانت إذا شككت فى أن أى إنسان قد فارق الحياة يكفى أن يقال لك إنه لا يتنفس .. لتتأكد يقينا أنه مات .. إذن دخول الحياة إلى الجسد هو دخول هذا النفس .. مصداقا لقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وخروجها هو خروج هذا النفس فالمسألة يقينا كما قال الله..

٣ - معجزة القرآن فى إخباره بعلم الأجنة

وإذا كنا نريد إعجازا أكثر .. فلننظر ماذا قال القرآن فى علم الأجنة .. علم تكوين الجنين فى بطن أمه .. هل تناول أحد هذه المسألة قبل القرآن أو عصر القرآن .. أو بعده بفترة ؟! .. أبدا .. أول من تحدث عنها هو القرآن وأعطانى ما هو غائب عنى .. لأن خلقى هو غيب عنى فكون الله - سبحانه وتعالى - يأتى فى قرآنه ويعطينى مراحل تكوين الجنين .. فهذه آية من آيات عظمته وقدرته .. وعلمه.. يقول الله فى أطوار الجنين : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ

(١) الحجر : (٢٩)



مَكِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا

فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴿١٤﴾. فالآية الكريمة تتحدث عن تكوين الجنين،

فهو نطفة، أى : منى الرجل الذى يصب فى رحم المرأة ، ثم علقه..
أى: دم جامد، ثم مضغة.. أى: قطعة من اللحم، ثم عظم صغير، ثم
يكسى العظم باللحم الذى يغطيه.. ليصير بعد ذلك بشرا سويا.

وعلم الأجنة ما عرفه الناس إلا حديثا.. والقرآن كما قلت كلام
متعبد بتلاوته.. لا تبديل فيه ولا تغيير.. أى أن القضية التى يذكرها
ستبقى كما هى إلى آخر الدنيا.. فعندما يأتى القرآن ويخبر بهذا
فكأنه يتحدى العلم والعلماء.. إلى يوم القيامة.. يقول لهم هذا هو
تكوين الجنين فى بطن أمه.. وأنا أذكره لكم وأذكر مراحلها بالتفصيل
لم يشهده أحد من البشر حتى ساعة نزول هذا القرآن.. ولا حتى
بعد نزوله بمئات السنين.. ولكن أسجله لتعلموا عندما أعطاكم من
العلم ما تستطيعون به معرفة أطوار الجنين.. لتعلموا أن القائل هو
الخالق.. لأنه لا يمكن لأحد أن يقول هذا الكلام وأن يتحدى بصحته
على مر العصور.. وأن يخترق الحجب ليروى شيئا لم تكن البشرية
تعرفه أو تعلم به.. إلا أن يكون ذلك هو الله.. وإلا فكيف يأمّن أى
إنسان؟ أى بشر مهما بلغ من العلم.. كيف يأمّن أنه بعد عشرات
السنين.. أو مئات السنين لن يأتى ما يناقض هذا الحديث؟
وما يثبت عدم صحته..

(١) المؤمنون : (١٣ - ١٤)



فإذا لم يكن الحديث هنا عن الله .. وإذا لم يكن عن يقين كامل فكأن القرآن قد أعطى معه وسيلة هدمه .. كان يكفي أن يقول إنسان إن القرآن يقول هذا عن أطوار الجنين .. وقد أثبت التقدم العلمى أنه غير صحيح .. كان يكفي أن يقال هذا ليهدم قضية الدين من أساسه .. ويكون القرآن قد أعطى للكفار أقوى سلاح يهدمونه به فالذى كشف علم الأجنة متأكد تماما أن ما يقوله هو الحق .. وأن تطور العلم مهما جاء فإنه لن يأتى ليناقض هذا الكلام .. ولقد أثبتت أحدث البحوث عن الجنين .. صحة ما ذكره القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولم تختلف عنه .. فى أى تفصيل من التفصيلات .. رغم أن هذا كان أمرا غيبيا .. وأمرنا لم يتحدث عنه أى إنسان قبل أن يأتى القرآن .. ومع ذلك فقد ذكره القرآن بالتفصيل .. وحدد أطواره وجاء العلم بعد ذلك ليثبت هذه الحقيقة .. إذن فلا بد أن قائل القرآن هو الله ؛ لأن الذى يعلم يقينا هو الله وحده ..



٤- آيات الله فى الأرض

مراكز الإحساس بالجلد

نأتى بعد هذا إلى نقاط سأمُر عليها بسرعة .. لأن آيات الله كثيرة جداً فى الأرض .. وكلها تنطق بإعجاز القرآن .. يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابُ﴾^(١). هذه الآية عن الكفار يوم القيامة والهدف منها هو التأكد على أن يقول الله إن العذاب سيستمر فى الآخرة ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٢) لَا يُفَرِّغْنَاهُمْ فِيهِ مُبَلِّسُونَ ﴿٧٥﴾^(٣).

.. وكانوا يقولون إن مراكز الإحساس موجودة فى المخ .. وإن الجلد ليس فيه مراكز إحساس .. كان هذا هو الحديث حتى فترة وجيزة .. أما أيام نزول القرآن فلم يكن أحد يعرف شيئاً عن ذلك على الإطلاق .. فيأتى الله - سبحانه وتعالى - ويقول : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابُ﴾^(٣). فكأن العذاب له صلة بالجلد .. والإحساس بالعذاب يأتى من الجلد .. ثم يكتشف العلم أخيراً أن مراكز الإحساس بالألم موجودة فعلاً فى الجلد .. وهى التى تحس بالعذاب^(٤).

(١) النساء : ٥٦ . (٢) الزخرف : (٧٤ - ٧٥) (٣) النساء : ٥٦

(٤) يؤكد العلم الحديث أن كل سنتيمتر فى الجلد يستقبل ٨٠٠ مؤثر ، والأذن والعين كل منهما يستقبل ١٨ مؤثراً ولو زاد العدد فقد الإحساس.



٥- الذرة

ونأتى إلى القرآن فنجده ربما كان أول كتاب فى العالم كله ..
أخبر : أنه يوجد شىء أصغر من الذرة .. فيقول - سبحانه وتعالى - :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴿٨﴾﴾ (١) . لأن الذرة هى أدق ميزان فى العالم ..ثم

يأتى فى آية أخرى ويقول عن الذرة :

﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ (٢) إذن فهناك

شىء أصغر من الذرة .. وهذا الشىء مقيد فى كتاب الله ومكتوب ..
ويأتى العلم الحديث ويكتشف جزيئات الذرة ليؤكد صحة ما جاء فى
القرآن الكريم.

٦- وسائل المواصلة الحديثة

يأتى الله - سبحانه وتعالى - ليرينا كيف يعالج قضية أخرى ..
يعالجها بما يناسب عقول الذين عاصروا نزول القرآن إلى الأرض ..
وتفكير كل الأجيال القادمة .. يأتى فيقول : ﴿وَالْحَيْلُ وَالْإِغَالُ وَالْحَمِيرُ
لَتَرْكَبُنَّهَا وَزِينَةً﴾ (٣) .

أى أنه وهو يتحدث عن نعمة، قد حدد للإنسان ما خلقه له ليساعده
على التنقل فى الأرض ..

(١) الزلزلة : (٧ - ٨)

(٢) يونس : (٦١)

(٣) النحل (٨)



ولكن هل هذا هو نهاية المطاف ؟ لو أننى أفكر بتفكير ذلك العصر.. العصر الذى نزل فيه القرآن لقلت إنها نهاية المطاف.. ولكن الله يعلم أن الإنسان سيركب السيارة، والصاروخ والطائرة .. وأن كل جيل سيختلف عن الجيل الآخر بوسائل التنقل.. فكيف يسجل ذلك دون أن يقول ما هو فوق عقول الناس فى ذلك الوقت.. ما قد يذهب الإيمان فى نفوسهم.. يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالْخَيْلِ وَالْإِبَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

أترى بلاغة القرآن.. قد سجل علم الله وفى نفس الوقت احتفظ به غيبا على الذين عاصروا نزول القرآن.. ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .. هنا معناها أن ما ذكرته ليس نهاية المطاف.. ولذلك فأنا أقول لكم من الآن إن هذه هى وسائل تنقلكم ولكنى سأخلق فى الأجيال القادمة ما لا تعلمون أنتم.. وسأخلق للأجيال التى بعدها ما لا تعلمه الأجيال القادمة.. وهكذا إلى نهاية الدنيا.. ومن هنا فقد سجل القرآن التطور الذى سيحدث.. وفى نفس الوقت احتفظ بعبارته فى مستوى العصر الذى نزل فيه..

(١) النحل (٨)



دعوة القرآن إلى إمعان النظر في الكون :

والله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ وَكَأَنِّ مِنْ آيَاتِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١).

أى أن هناك أشياء عجيبة خلقها الله في السماوات والأرض تتطلب من الإنسان أن يمعن (٢) النظر فيها .. ولكنه لا يمعن النظر رغم أن الله - سبحانه وتعالى - طلب منا أن نمعن النظر في آياته .. وأن نستخدم نشاطات الذهن في اكتشاف نشاطات الكون ..

(١) يوسف : (١٠٥)

(٢) يمعن : يدقق .



مناقشة الفصل الثانى

١- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

اشرح الآية وبيّن ما يقصده المفسر من كلمة « العلماء »

٢- «عندما نبحث عن الروح والمادة نتجاوز علم الأرض ، لأنها مسألة

لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى إلى نتيجة »

(أ) ما الفرق بين الروح والمادة؟ وما العلاقة بينهما ؟

(ب) لماذا نتجاوز علم الأرض بالبحث فى هذه القضية ؟

(ج) ما المرجع الحقيقى فى قضية الروح والمادة ؟

٣- ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة :

(أ) العلم الإنسانى علم محدود .

(ب) ليس للإنسان حرية البحث فى العلوم الغيبية .

(ج) الموت نقيض الحياة ولكنه ليس دليلاً على الحياة .

(د) القرآن تحدث عن التطور العلمى فى المواصلات بدون تحديد .



٤- قال الله - سبحانه وتعالى - :

(أ) ﴿كُلَّمَا نَفِخَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

(ب) ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

(ج) ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

اذكر مواطن الإعجاز القرآنى فى الآيات السابقة ؟

٥- كيف تثبت أن الإنسان خلق من تراب؟

٦- يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾

(أ) من الذين تتحدث عنهم الآية الكريمة ؟

(ب) وجود الكافرين المضلين دليل على صدق القرآن.. ناقش هذه

العبرة.

(ج) ما واجب المؤمن نحو الغيبيات ؟

٧- جاء فى القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق من تراب، وجاء أيضا

أنه مخلوق من طين، ومن حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار..

فهل ترى تناقضا بين هذه الأشياء ؟ وضح ذلك.



الفصل الثالث القرآن والعلم

مقدمة :

الكون ملئ بآيات العلم التى تدل على وجود الله، وليس معنى ذلك أننا نستدل على صحة القرآن بالعلم، بل إن القرآن هو المهيمن والمسيطر، وهو الحق، وما العلم إلا كاشف لقدرة الله فى الكون، فما جاء به القرآن نحن نؤمن به إيماناً غيبياً لا يرقى إليه أى شك، ولا نريد عليه دليلاً؛ لأن دليلاً وبقيننا أن الله هو الذى قال، ولكننا نرد على غير المؤمنين. ولذلك فنحن نتحدث إليهم بالحجة والدليل المادى بما لا يستطيعون أن يردوا عليه .. ونحن لا نقدر أن نحيط بكل آيات الله فى الكون؛ لأن آيات الله أكبر من أن يحيط بها بشر مهما كانت قدرته وعلمه.

وفى جولة تشمل الكون المحيط بنا، وحسب قدراتنا البشرية، سنثبت أن لله آيات ومعجزات ذكرت فى القرآن الكريم، واعترف غير المؤمنين أنه لا يمكن أن يكون منزل هذه الآيات إلا الله - سبحانه وتعالى - ولذلك فإننا سنجوب الكون لنعطى مثلاً واحداً من عدة أماكن، ففى خلق الإنسان آيات، وفى الجبال آيات، وإذا صعدنا إلى السماء وجدنا آيات، وإذا نزلنا إلى باطن الأرض كانت هناك آيات، وإذا غصنا فى أعماق البحار كانت هناك آيات. وسوف نعطي هنا



بعض اللّمحات فقط؛ لأننا إذا أردنا أن نحيط بكل شيء فنحن نحتاج إلى مجلدات كثيرة.

عندما نزل القرآن كان له أكثر من معجزة .. تحدى العرب في بلاغتهم .. ثم مزّق حواجز الغيب الثلاثة .. مزق حجاب الزمن الماضي وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم .. وتحدى فيها .. ثم مزق حجاب المكان .. وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الإسلام وما يبيتون للمسلمين .. وروى لنا ما يدور داخل نفوسهم .. ولم تنطق به شفاههم .. ولم يجرؤ واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفسى بهذا .. ثم مزق حجاب المستقبل القريب .. وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور .. وبأحداث ستقع بعد سنوات .. وتحدى .. وحدث كل ما أنبأ به القرآن .. هذا ما بينته في الفصل السابق بالتفصيل .. وضربت الأمثلة عليه ..

لماذا لم يتحدث القرآن عن أحداث المستقبل بالتفصيل ؟

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد .. ليعطى الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله .. ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلية جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين . وانصرف آخرون .. ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت .. ومن هنا وحتى لا يخرج



المؤمن عن إيمانه ويستمر الإعجاز .. جاء القرآن بنهايات النظريات .. بقمة نواميس الكون .. إذا تليت على المؤمنين فى ذلك الوقت .. مرت عليهم .. ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقى العلمى لأنهم يؤمنون بالغيب ، ويصدقون الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه .. وإذا تليت بعد ذلك على الأجيال القادمة .. عرفوا ما فيها من إعجاز وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين .. إذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله .. وأن قائله هو الله الخالق.

أحكام الدين نزلت مفصلة :

بقيت نقطة .. هل يأتى هذا فى الأحكام ؟ الجواب : لا .. إن أحكام الدين : افعل ولا تفعل نزلت ، كاملة واضحة مفصلة .. لا لبس فيها ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض .. منهج الله كامل فسرته الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية .. شرح وفسر فى عهد الرسول ﷺ تفسيراً كاملاً .. بحيث أصبح واضحاً لكل إنسان يريد أن يعبد الله وأن يعيش فى الأرض طبقاً لقوانين الله : افعل ولا تفعل .. جاءت واضحة وكملت وفسرت فى عهد الرسالة .. وأصبح الحلال بيئاً .. والحرام بيناً .. والدين بيناً .. أما آيات الله فى الكون .. فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيراً كاملاً فى عهد الرسول ﷺ .. لأن لها عطاء يتجدد فى كل الأجيال .. وهذه الآيات هى التى سنتحدث عن بعضها ..



من آيات الله فى الكون :

(أ) الإعجاز اللغوى :

لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز فى اللغة .. طلب أن يأتوا
بمثل القرآن .. ثم زاد فى التحدى طلب أن يأتوا بعشر سور ،
ثم قال بسورة من مثله .. زيادة فى التحدى .

(ب) الإعجاز العلمى :

ولكن التحدى للعالم لا يمكن أن يكون باللغة ..
فاللغات مختلفة .. إذن بماذا تحداهم ؟ بالعلم
.. وكان التحدى مطلقا إلى يوم الدين .. قال أنتم جميعا لن
تستطيعوا أن تخلقوا شيئا حتى نهاية العالم .. ثم تحداهم
بخلق ماذا ؟ أبخلق كون كالذى خلقه ؟ .. لا . أبخلق مجموعة
شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة فى
الكون ؟ .. لا . أبخلق شمس أو قمر أو نجم ؟ .. لا .. إذن
تحداهم بخلق الكرة الأرضية مثلا ؟ .. أبدا .. لابد أنه تحداهم
بخلق الإنسان ؟ .. أبدا لم يتحداهم بشئ من ذلك .

١ - التحدى بخلق ذبابة :

لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابا .. وكأنه يقول إننى أنا الله أقول لكم
سأعطيكم من العلم .. وأريكم آياتى فى الآفاق .. ولكنكم لن تخلقوا



ذبابة .. ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض فى كل العصور .. وهكذا تحدى الله البشرية كلها إلى يوم القيامة بأن يخلقوا ذبابة .. وقال إن العلم الذى ستعبدونه من دون الله .. والذى ستؤمنون به .. هذا العلم وكل القائمين عليه .. لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا .. قال تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ﴾^(١) . والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر وقد يصل إلى المريخ .. وقد يستكشف أبعد عن ذلك .. ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن ، بل أنه عاجز عن أن يستنقذ منه شيئاً التقطه وهو طلب ضعيف جداً بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى - فى خلق الكائنات ولذلك قال الله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ *

٢- التحدى باستمرار الحياة بالماء :

ثم أضاف الله - سبحانه وتعالى - : ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أى أن قدرة الله - سبحانه وتعالى - تفوق كل الحدود والتصورات التى قد ترد على خواطركم .. وأنتم لا تعرفون قدرة الله .. ثم تحدى الله

(١) الحج : (٧٣ - ٧٤)

* قد يقال إن العلماء قد ابتكروا الإنسان الآلى وهو يؤدى الأعمال التى تطلب منه ، ولكن ما حجمه ؟ وهل ينمو ؟ وهل يتناسل ؟ وهل يتحرك ذاتياً من غير كهرباء أو موتور ؟ وهل .. وهل .. ؟



بعد ذلك فى قرآنه ..تحدى باستمرار الحياة .. الماء الذى خلق منه كل شىء حى .. قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا** ﴾ (١) فهل خلقه الإنسان وأوجده ؟ لا .. فإله هو الذى أنزله من السماء قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ** **أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ** ﴾ (٢) وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ **وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ** ﴾ (٣) .

أى أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى يرسل إليكم الأمطار ..، والماء يأتى مدرارا ليسقى الدنيا كلها ..البشر والطيور والوحوش والزرع وكل شىء حى ..هذا الماء الذى تعبُّ منه البشرية كلها عبا ..تجد الإنسان عاجزا عن أن يصنع نهرا ..مع أن عناصر تكوين الماء موجود فى الكون ..أمام العلماء .. والمساحات الشاسعة من الصحارى فى الأرض محتاجة إلى قطرة ماء ..

٣- التحدى بعدم الهروب من الموت :

ثم تحدى الله - سبحانه وتعالى - بعد ذلك .. تحدانا بأن نهرب من الموت .. قال : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي** **بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ** ﴾ (٤) . أى أن الله - سبحانه وتعالى - يتحدى ..مهما

(١) الأنبياء : (٣٠)

(٢) الواقعة : (٦٨ ، ٦٩)

(٣) لقمان : (٣٤)

(٤) النساء : (٧٨)



وصلتم إلى العلم واتقنتم أسباب الموت فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .. إنكم تقولون فى العلم الأرضى : إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا وأمراض كذا إلى آخره .. حسنا .. شيّدوا برجاً وضعوا فيه إنساناً .. وأبعدوا عنه كل المخاطر التى فى رأيكم وفى نظركم وفى علمكم تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يمشى فى أى مكان ليصاب فى حادث .. ولا يستنشق هواء ملوثاً بل يستنشق هواء نقياً .. ويأكل من طعام مطهو على أحدث الوسائل الصحية .. ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة .. والجو الذى يعيش فيه منقى إلى آخر درجات العلم .. هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التى نعرفها .. ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت .. الجواب طبعاً مستحيل .. لأن الله هو الذى يُحيى ويُميت .. والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله ..

٤ - التحدى بالمغيبات الخمس :

ثم تحدى الله العالم كله فى القرآن بخمس مغيبات .. قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (١)

تحدى الله بهذه المغيبات .. تحدى البشر جميعاً .. فكأن

(١) لقمان : (٣٤)



القرآن كما تحدى العرب فى اللغة عندما نزل .. حمل تحديات للعالم أجمع .. وقال لهم : إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا إلى آخره .. عشرات التحديات التى ساقها القرآن للبشرية جميعا .. قال لن تصلوا إلى كذا .. لن تفعلوا كذا لن تخلقوا كذا .. وكانت هذه التحديات لكل البشرية .. ولكل العصور ..

« ما » عامة فى ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾

كذلك مثلاً قوله الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾
يأتى إنسان ليقول إن معنى ويعلم ما فى الأرحام .. أن الله يعلم هل الطفل الذى فى بطن أمه ذكر أم أنثى، فإذا جاء فى نشاط العلم أنهم يستطيعون بطريقة ما أن يعرفوا قبل ولادة المولود بفترة إذا كان ذكراً أو أنثى .. يقول بعض الناس إن ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ قد خرجت عن المغيبات الخمس التى اختص الله - سبحانه وتعالى - بها علمه يتحدى بها البشر أجمعين .. ويبدأ هنا الجدل ولكن السؤال الذى كان يجب أن يوجه إلى قائل هذا الكلام هو: من الذى أخبرك أن معرفة نوع الجنين إذا كان ذكراً أو أنثى هو معنى الآية الكريمة ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ من الذى حصر كلمة (ما) فى ذكر أو أنثى؟ وهى مطلقة على العموم .. إنك ادعيت أن (ما) هى ذكر أو أنثى .. وقلت إنها الحقيقة القرآنية .. ولكن مدلول (ما) أكثر من ذلك كثيراً .. ذكر أو أنثى حقيقة .. وطويل أم قصير حقيقة أخرى .. وأسمر أو



أبيض أو أشقر حقيقة الثالثة.. وسعيد أو شقى حقيقة رابعة.. وذكى أو غبى حقيقة خامسة.. وكم سيبقى فى الحياة؟ وما هو عمره؟ حقيقة سادسة ، ومريض أم معافى؟ حقيقة سابعة.

وأستطيع أن أمضى إلى مئات .. بل وألوف الحقائق التى عبر الله - سبحانه وتعالى - عنها بكلمة (ما) فى الآية الكريمة ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾.

وبعد أن تحدى الله البشر جميعا .. قال : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١) لم يقل سنريهم آياتنا فى الأرض .. ولا فى الأفق .. بل قال ﴿فِي الْأَفَاقِ﴾

أى أن الله - سبحانه وتعالى - سيكشف لعباده بعضا من آياته لا فى أفق واحدة ، بل فى كل الأفاق ولا فى شئ بعيد عنهم ، بل فى أنفسهم ليتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق وكيف يتبين لهم أنه الحق ؟ .. ذلك أن حقائق الكون التى سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين بنشاطات الذهن .. سيجدون القرآن قد أشار إليها .. وحينئذ يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق .. لأن الذى قال هو الله .. والذى خلق هو الله .

ومن هنا جاء فى القرآن أن الأرض كروية .. وأنها تدور .. وجاء فيه كيفية خلق الإنسان .. وكيف تعلم الكلام .. وجاء فيه أن هناك ما

(١) فصلت : (٥٣)



هو أصغر من الذرة .. وجاء فيه وصف دقيق لما يحدث للجنين وهو فى بطن أمه .. وجاء فيه أن الليل والنهار يوجدان على الأرض معا .. وحقائق أخرى كثيرة لا يتسع المجال للحديث عنها .

تحديد معنى العلم :

على أننا قبل أن نمضى فى هذا الموضوع يجب أن نحدد معنى العلم..

فأنت حين تحدثنى عن حقيقة علمية أسألك هل هى واقعة ؟ فإذا قلت نعم .. أسألك : أنت جازم بها؟ فإذا قلت نعم .. أسألك هل تستطيع التدليل عليها ؟ فإذا قلت نعم .. فهذا هو العلم.

فالعلم نسبة واقعة مجزوم بها وعليها دليل .. ولكن افرض أنني جازم بالنسبة وهى ليست واقعة .. هذا هو الجهل .. نسبة مجزوم بها وهى غير واقعة .. وآفة ^(١) الدنيا كلها الجهل .. فالذى لا يعرف نسبة أو حقيقة علمية يمكن أن يتعلمها .. ولكن المصيبة فى ذلك الذى يجزم أو يصدق فى قضية كاذبة ثم يقيم الدنيا محاولاً أن يدل على شئ غير حقيقى .. وهذا ماتعانى منه البشرية ..

القرآن والعلم :

وإذا تحدثنا عن القرآن والعلم .. فإن العلم هنا المراد به علم البشر الذى يوجد فى زوايا الكون المتعددة .. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٢) ونحن أحيانا ندعى حقيقة علمية .. وهى ليست

(١) وآفة : مرض

(٢) الروم : الآية (٧)



حقيقة علمية.. أو ندعى حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية ..
الأولى ادعاء حقيقة علمية وهى مجرد نظرية وتخمين .. أمر سهل
معروف .. فعشرات من النظريات العلمية ثبت خطأها بعد فترة
وكانت تمثل مجرد ظن وتخمين .. فادعأونا بأنها حقيقة قرآنية
وهى ليست حقيقة قرآنية خطأ كبير .. ما هو ؟

الحقيقة الثانية - لا تصادم بين القرآن والعلم :

لا تصادم بين حقائق الكون والقرآن.. إذا كان هناك تصادم ..
يوجد عندما ندعى حقيقة علمية فى الكون .. وهى ليست حقيقة علمية
.. أو ندعى حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية لا يمكن أن يصادم
أبدا بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة.. لأن قائل القرآن هو الله والفاعل
هو الله.. إذا انتهينا إلى ذلك.. يكون علينا أن نوضح نقطة صغيرة
قبل أن نمضى فى حديثنا .. إن الذين يقولون إن القرآن لم يأت
ككتاب علم صادقون .. ذلك أنه كتاب أتى ليعلمنى الأحكام.. ولم يأت
ليعلمنى الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة.. وفى نفس الوقت عندما
نقول إن القرآن ذكر لى معجزات لم يصل إلى بعضها العلم حتى
الآن.. فهذا صحيح أيضا.. إن هذه المعجزات هى ما تنتهى إليه
حقائق الكون .. فالقرآن وإن لم يأت ليعلمنى الطب مثلا.. إلا أنه
يأتى فيمس قضية طبية يخبرنى بدقائقها.. ولا يصل إليها علم الطب



إلا بعد مئات السنين أو ألاف السنين.. يأتى فى الجغرافيا مثلاً ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد مئات السنين.. وكذلك فى كل علوم الدنيا..

أى أن ما ينتهى إليه من الحقائق.. قضايا الكون الأساسية.. الحقائق التى خلق على أساسها الكون يمسها القرآن على أنها حقائق علمية سواء وصلت إليها أنت بالعلم أم لم تصل.. ولنبدأ باستعراض بعض من هذه الحقائق :

والأرض مددناها وهى كرة

إن ما دامت الأرض مسطحة.. فلا بد أن يكون لها حيز.. فإذا جئت فى آخر السطح.. لا بد أن تصل إلى حافة.. ولكن الله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾^(١) ومعنى مَدَدْنَاهَا : أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية.. تراها ممدودة أمامك.. أى منبسطة أمامك .. فإذا ذهبت إلى القطب الشمالى رأيت الأرض منبسطة.. وإذا ذهبت إلى القطب الجنوبى رأيت الأرض منبسطة.. وإذا ذهبت إلى خط الاستواء وجدت الأرض أمامك منبسطة.. فى أى مكان نذهب إليه نرى الأرض منبسطة.. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية.. إذن فقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ دليل على كروية الأرض.. ولكن إنساناً أخطأ وفسر ذلك

(١) الحجر : (١٩)



اللفظ على أنه دليل على أن الأرض مبسوبة .. وخرج من ذلك بأن هذه حقيقة قرآنية .. وهى ليست حقيقة قرآنية فإذا ثبت أن الأرض كروية بدا تعارض وهى بين حقيقة كونية وحقيقة قرآنية .. وهنا يبرز دور الجهل فى محاولة النيل من كتاب الله .. ولو تعمق بعض الناس قليلا لعرفوا أن كروية الأرض ودوران الأرض موجودان فى القرآن .. وهذا ما سنعود إليه فى موضع آخر ..

بعض الحقائق العلمية التى مسها القرآن الكريم:

الحقيقة الأولى : كروية الأرض .. وأعتقد أنه فى عهد النبى ﷺ لم يكن أحد من البشر يعرف شيئاً عن كروية الأرض أو لم يكن ذلك قد وصل إلى علم أحد .. وهنا يأتى القرآن ويقول: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ ويلاحظ دقة تعبير القرآن فى ألفاظه.. لقد اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر الذى نزل فيه والعصور القادمة فكلمة «مددناها» تعطى المعنى للاثنتين معا عندما يقول ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾^(١) أى بسطناها لأن المد هو البسط ولقد فهم أن هذه حقيقة قرآنية حتى إنه بعد أن خرج الإنسان خارج الغلاف الجوى للأرض ورأها كروية.. فإن هذا الرجل يرفض تصديق العلم .. ويقول: لا .. الأرض مبسوبة..

(١) ق : (٧)



هكذا قال القرآن .. وكل ما عدا ذلك كفر ، نقول له : إنك أخطأت فى فهم الحقيقة القرآنية.. وإن الدليل الذى أتيت به لا يخدم ما تدعيه.. بل هو ضد ما تدعيه .. فالأرض إن كانت مبسوطة لا تخرج عن أشياء.. إما مربعة .. وإما مثلثة .. وإما مستطيلة .. وإما متوازية .. وإما شبه منحرف .. وإما شكل مختلف الأضلاع .. وباختصار أترك لك أن تتصور أى وضع للأرض غير وضع الكرة .. أو شكل الكرة.

الحقيقة الثانية : ثم نتأمل قول الله - تعالى - ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى

النَّهَارِ﴾ ^(١) لماذا استخدم الله - سبحانه وتعالى - كلمة « يُكْوَرُ » ؟

وكلام القرآن الصادر عن الله دقيق فى تعبيره دقة متناهية .. لماذا استخدم الله لفظ يكور .. ولم يقل يبسط الليل والنهار .. مادامت الأرض منبسطة .. أو يغير الليل و النهار .. أو أى لفظ آخر .. إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة فتقول إنك كورت هذا القماش مثلاً .. أى جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها .. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئاً على شكل كرة .. فتقول له خذ هذا وكوره .. أى اصنعه على شكل كرة .. ومعنى قول الله - سبحانه وتعالى - ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ .. أى يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية .. ومن

(١) الزمر : (٥)



إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية
فى كل وقت.. أى أن الله لم يقل : يكور الليل ثم يكور النهار
.. ولكنه قال يكور الليل على النهار واستخدام كلمة « على »
هنا تستحق وقفة .. لتتصور مدى انطباقها على كروية
الأرض.. ﴿يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ ومعناه أنهما موجودان
فى نفس الوقت حول الكرة الأرضية وهذا ما نبأ به القرآن
منذ أربعة عشر قرناً ولم يصل إلى علم البشر إلا فى الفترة
الأخيرة..

ثم نتأمل بعد ذلك قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا أَلَيْسَ سَابِقُ
النَّهَارِ﴾ مامعنى الآية الكريمة ولا الليل سابق النهار ..

معناه أنه يرد عليهم فى قضية عصرهم ليصححها لهم .. فهم
يقولون إن النهار يسبق الليل .. يبدأ اليوم بشروق الشمس
وينتهى بغروبها ، ثم يأتى بعد ذلك الليل ، أى أن النهار يسبق
الليل .. فيأتى الله - سبحانه وتعالى - ويقول ﴿وَلَا أَلَيْسَ سَابِقُ
النَّهَارِ﴾ .. ومن هنا فإنه يرد على قولهم بأن النهار يسبق الليل
قائلاً لا .. لا النهار يسبق الليل ولا الليل يسبق النهار وهذا
إعلان بأن الأرض كروية . وأن الليل والنهار موجودان فى
وقت واحد على سطحها .. فلو أن الأرض مبسوطة فإن الأمر
لا يخرج على حالتين .. الحالة الأولى .. أن الله قد خلق



الشمس مواجهة للأرض المسطحة .. وفى هذه الحالة يكون النهار موجودا أولا .. ثم يغيب الله الشمس فيأتى الليل ثانيا .. أو أنه خلق الشمس غير مواجهة لسطح الأرض .. وفى هذه الحالة يكون الليل موجودا أولا .. ثم تطلع الشمس على السطح فيأتى النهار .. لا يخرج الأمر عن هذين الشيئين .. فعندما يأتى الله ويقول ﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أى أنه ينفى كلية أن النهار يسبق الليل .. أو أن الليل يسبق النهار .. حيث إنهما لا يسبق أحدهما الآخر .. منذ متى ؟ منذ بداية خلق الأرض .. أو منذ خلق الله الأرض .. ولا يتأتى هذا فى عالم الأحجام أبدا إلا إذا كانت الأرض مكورة .. فحين خلق الله الشمس والأرض أوجد الليل والنهار معا .. فنصف الأرض المواجهة للشمس صار نهارا .. والنصف الآخر صار ليلا .. ثم دارت الأرض .. فأصبح الليل نهارا .. والنهار ليلا وهكذا .. إذا فالآية الكريمة ﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(١) تعطينى أن الأرض مخلوقة على هذه الصورة الكروية

الحقيقة الثالثة : دوران الأرض : نأتى بعد ذلك إلى قضية أخرى .. وهى دوران الأرض .. هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان هو جالس فيه .. والمكان كله يتحرك بما هو فيه ..

(١) يس : (٤٠)



إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك .. لماذا؟.. لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شيء ثابت ولا شيء ثابت لأن الأرض كلها تدور .. والمواقع فوق سطحها ثابتة .. لأننا مثلاً عندما نجلس فى حجرة مغلقة تماماً وهى تدور بنا جميعاً .. وموقعنا عليها ثابت لا يتغير .. لا نحس بدوران هذه الحجرة إلا إذا فتحنا نافذة مثلاً .. ونقيس حركة الحجرة على شيء ثابت كعمود مثلاً أو شجرة ^(١) .. ومن هنا لا نستطيع أن نعرف حركة المتحرك إلا إذا قسناه إلى شيء ثابت .. ومن يستطيع أن يقيس الأرض كلها إلى شيء ثابت ليعرف حركتها؟ لا أحد يستطيع .. مادمت أنا لا أدرك الحركة ..

الحقيقة الرابعة : إن حركة الجبال ليست ذاتية بل تتبع حركة الأرض : يأتى الله - سبحانه وتعالى - ليقول لى:

﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ^(٢)

تحسبها معناه كان ذلك حسابان وليس حقيقة .. لأن هذه الجبال التى تراها أمامك جامدة ثابتة لا تتحرك .. هى ليست كذلك .. فإن الله يريد أن يقول لنا إن هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض التى تبدو أمامك جامدة ثابتة صلبة لا تستطيع أن تفتتها أنت ولا تزيلها .. هذه الجبال الرهيبة

(١) مثل راكب القطار وركب المصعد بابه من زجاج شفاف.

(٢) النمل (٨٨)



تمر أمامك مر السحاب وأنت لا تدري .. ثم عندما تتعجب وتقول وأنت تسمع هذه الآية كيف تمر هذه الجبال مر السحاب وهى ثابتة .. أمامى هكذا لا تتحرك من مكانها؟ .. يقول لك الله - سبحانه وتعالى - لا تتعجب .. صنع الله الذى أتقن كل شئ .. فإن قال قائل إن هذا يحدث فى الآخرة .. فإننا نقول له إن الأرض لن تكون نفس الأرض .. وإن الجبال ستتمور .. مصداقا لقوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(١) إلى آخر الآية الكريمة .. ثم هل يكون فى الآخرة حساب^(٢)؟ أبدا الآخرة نرى فيها الحقائق نرى فيها كل شئ عين اليقين .. ونعرف كل شئ على حقيقته .. الجنة والنار . والثواب والحساب وكل شئ .. إذن فقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ .. معناه .. إنك وأنت أمام هذه الجبال واهم .. لأنك تظن أنها جامدة وهى تمر مر السحاب . ثم يأتى بعد ذلك استخدام الله - سبحانه وتعالى - كلمة مر السحاب .. وكما قلت إن اختيار الألفاظ فى القرآن دقيق جدا .

مر السحاب . لماذا لم يقل الله - سبحانه وتعالى - مثلا مر الرياح .. أو مر العواصف .. أو مر الأمواج .. أو أى لفظ آخر

(١) إبراهيم : (٤٨)

(٢) ظن : ووهم



.. لأن السحاب لا يتحرك بنفسه .. بل تدفعه قوة ذاتية هي قوة
الرياح فحين يتحرك السحاب من مكان إلى مكان آخر ..
لا ينطلق بذاته ويمضى .. بل تأتي الرياح وتحمله من المكان
الذى هو فيه إلى مكان آخر وهكذا .. فكأن الله - سبحانه
وتعالى - يريد أن يقول لنا انتبهوا .. إن حركة الجبال ليست
حركة ذاتية كحركة الأرض .. وليست حركة ذاتية كحركة
الرياح .. فهى لا تتحرك بذاتها .. أى لا تنتقل من مكانها على
الأرض إلى مكان آخر على سطح الأرض .. لا إن مكانها ثابت
ولكنها تمر أمامكم مر السحاب .. أى تتحرك بحركة الأرض ..
تماما كما تحرك الرياح السحاب .. وإلا فلماذا لم يقل الله ..
وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تسير .. أو وهى تجرى .. أو
وهى تتحرك .. أو وهى تمر من مكان إلى آخر .. أبدا ..
استبعد كل الألفاظ التى تعطى الجبال ذاتية الحركة .. أى أن
الذى يتحرك ذاتيا هى الأرض .. والجبال تتبع هذه الحركة
وهى تمر أمامك مر السحاب الذى لا يملك ذاتية الحركة ..
أترى دقة التعبير .. ودقة التصوير لدوران الأرض فى القرآن
.. هل كان من الممكن أن يقول محمد هذا الكلام .. أو يصل إلى
هذا العلم ؟ ألا يعتبر هذا إعجازا حين يقول العلماء إن
الأرض تدور حول نفسها فنقول لهم : هذه الحقيقة مسها



القرآن .. بل وأعطى تفصيلا فيها .. إن كل شيء على الأرض يتبع الأرض فى حركتها الذاتية بما فى ذلك الجبال الشاهقة الضخمة .. ذلك فى الدنيا طبعاً .. لأن فى الآخرة ينسف الله الجبال نسفاً .. ولا يكون هناك حسابان .. ولكن يكون هناك يقين .. فكون القرآن يخترق حجاب المستقبل .. وبعد ذلك يمس قضايا كونية بما يثبت نشاط الذهن بعد أربعة عشر قرناً .. فهذا يدل على أن القرآن اخترق حجاب المستقبل للبشرية كلها .. ولكن بعض الناس يجادل فى خلق الإنسان وهى محاولة للإضلال .. وإنكار آيات الله فى الكون .. وهذا أيضاً من إعجاز القرآن .. وجود هؤلاء المضلين فى الدنيا ومحاولتهم الإضلال .. ومحاربة دين الله .. هو إعجاز قرآنى لأن الله - سبحانه وتعالى - أخبرنا عنهم قبل أن يوجدوا .. ولقد شرحت ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى .



مناقشة الفصل الثالث

١- قال - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لِلَّهِ يُبَيِّنْ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾

ضع علامة (√) أمام الإجابة الأكثر دقة مما بين الأقواس :

(أ) تحدى القرآن بهذه الآية : (العرب وقت نزوله)

(البشرية كلها وقت نزوله)

(البشرية كلها حتى قيام الساعة)

(ب) اختار الله - سبحانه وتعالى - الذبابة لأنها :

(أضعف المخلوقات)

(أعقد المخلوقات)

٢- قال تعالى : ﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾

تحسبها : (تتخيلها - تظنها - توقن بها) .

تمر : (تتحرك - تجرى - تسير)

اختر الإجابة الدقيقة لما تقدم وعلل لما تختاره .



٣- ما المراحل التى يمر بها العلم ؟ وبم عرّف المؤلف العلم ؟

٤- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْتَهَا﴾ ، ﴿يُكْوَرُ أَلَيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ كيف تستدل

بالآيتين الكريمتين على كروية الأرض؟

٥- سألك أحد المعاندين : العلماء الآن يعرفون نوع الجنين فى بطن

أمه فأين الإعجاز فى قوله - تعالى - ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ؟

فبماذا ترد عليهم ؟

٦- استعن بالحاسب الآلى فى التوصل إلى :

مراحل نمو الجنين فى بطن أمه كما ورد فى القرآن الكريم.

عدد المرات التى جاء فيها ذكر السحاب فى القرآن الكريم.



الفصل الرابع

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾

مقدمة:

شهر رمضان هو شهر القرآن .. وهو شهر الرحمة والمغفرة والتوبة .. وهو الشهر الذى نزلت فيه الرسالة على محمد ﷺ وهى رحمة للعالمين .. مصداقا لقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(١) وهذا الموضوع عن تفسير معنى هذه الآية الكريمة .

يلاحظ أن موكب الرسل حين يبعثها الله - سبحانه وتعالى - لعباده .. أن كل رسول يأتى برحمة .. كيف ذلك ؟

قد يأتى الرسول إلى بيئة محتاجة للتذكير بمنهج الله .. ولا يأتى رسول إلى قوم آخرين يعيشون فى نفس الزمن .. ولكن فى بقعة أخرى ويتبعون منهج الله اتباعا سليما .

إذن فالديانات كلها .. إنما تهدف إلى بقاء المنهج الإلهى الذى صاحب الإنسان الأول .. حتى ينظم حركته فى الأرض .. وتأتى الرسل تذكر من نسى أو انحرف .. أو خالف هذا المنهج من ذرية آدم ..

(١) الأنبياء : (١٠٧)



وذلك نظرا لأن المنهج يتطلب سلوكا يتعارض مع شهوات النفس الجامحة ، ورغباتها الطائشة، وتحدث الغفلة والنسيان والانحراف الذى قال فيه الله - سبحانه وتعالى - ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (١) أى انتهت صلتهم بالله بغفلتهم الكاملة عن أحكام الدين .

إذن مواكب الرسل كلها جاءت لكى تذكر بالعهد الأول الذى أعطى لآدم والذى عبر الله - سبحانه وتعالى - عنه بقوله : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ (٢) .. لكن الغفلة تطرأ على القلب.. ومن رحمة الله أن يرسل رسولا يذكر الناس بالمنهج ..

لكل زمان وكل مكان

وسيدنا محمد ﷺ .. جاء على فترة من الرسل.. نلاحظ أن رسالته ﷺ لم تكن لقوم معينين .. ولا لجنس بشرى معين خلافا للرسل السابقين .. فيقول الله - سبحانه وتعالى - لنبيه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ .. رسالة النبي ﷺ أخذت هنا عمومية .. عمومية المكان .. ثم يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ .. إذن أخذت الرسالة هنا عمومية الزمان أيضا .. أخذت عمومية للزمان وللمكان .. ولذلك يجب أن يأتى التشريع صالحاً لكل زمان .. وكل مكان ...

(٢) البقرة : (٣٨)

(١) المطففين : (١٤)

(٣) الأنبياء : (١٠٧)



ولكن لماذا جاءت الرسالة .. رسالة النبي ﷺ .. لها عمومية المكان وعمومية الزمان ؟ هذا أيضا من إعجاز القرآن .. ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - فى علمه أن آفات ^(١) البشرية كلها ستصبح آفات واحدة .. ذلك أن العالم كلما تقدم وازداد اتصاله .. توحدت الآفات التى يشكو منها .. فقبل رسالة محمد ﷺ كان هناك انعزال فى الدنيا .. لا توجد اتصالات بين المجتمعات البشرية ، وكان كل مجتمع بشرى يعيش وينتهى دون أن يدرك عنه أى مجتمع بشرى آخر فى مكان بعيد عنه .. ذلك أن الاتصالات بين المجتمعات البشرية المختلفة .. كانت شبه معدومة لبعدها المسافة .. وضعف وسائل المواصلات أو انعدامها .. وعدم تقدم العلم الذى يمكن البشر من اتصال بعضهم ببعض فى أوقات قصيرة .. ومن هنا كان لكل مجتمع آفاته الخاصة .. وأمراضه .. وانحرافات .. وغفلته عن الدين .. وكانت الرسل تأتى إلى هذه المجتمعات . لتذكر بمنهج الله ولكنها كانت ترسل إلى مجتمع بعينه كعاد وثمود وآل لوط وغيرهم .. بل كما قلت فى أحيان .. كان يرسل الله - سبحانه وتعالى - أكثر من رسول فى نفس الوقت .. هذا ليعالج آفات مجتمع .. وهذا ليعالج مجتمعا آخر .. كما حدث مع لوط وإبراهيم مثلا ..

(١) آفات : امراض ومفرداتها آفة .



كان هناك انعزال .. وكان هذا الانعزال يجعل الداءات^(١) مختلفة .. ويتم إرسال الرسل إلى كل مجتمع لتذكير أهله .. ولكن الآن وبعد أن التقى العالم وارتقى .. توحدت الداءات .. أو أصبحت كلها حول دائرة واحدة .. يحدث شيء في أمريكا فيصبح عندك بعد ساعة واحدة .. تكاد تكون هناك وحدة الآفات في العالم كله .. آفة البشرية واحدة في البلاد المتقدمة .. وفي البلاد غير المتقدمة .. لأنه حدث التقاء بشري .. وعندما يحدث الحادث يعرفه العالم كله بعد دقائق .. مادامت الآفات قد توحدت نتيجة للاتصال البشري الكبير الذي تم .. فلا بد من وحدة المعالجة .. وهكذا أنبأنا الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم منذ وقت نزوله .. أن العالم سيتقدم ليصبح وحدة واحدة .. وأن الآفات في العالم تكاد تتوحد نتيجة الاتصال السريع بين أجزائه .. ولذلك لا بد من وحدة المعالجة .. فأرسل هذا الدين رحمة للعالمين .. وهذا معنى كلمة « رحمة للعالمين » .. أى للعالم كله الذى ستتوحد داءاته وآفاته .. ولا بد أن يكون المعالج واحدا يشمل الجميع ، فبعث رسول الله ﷺ خاتم المرسلين فكان رحمة للعالمين فى كل زمن حتى تقوم الساعة ..

معنى الشفاء ومعنى الرحمة

يقول الله - تعالى - : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١)

(١) الداءات : الأمراض ومفردها : داء

(٢) الإسراء : (٨٢)



ومعنى الآية الكريمة.. أنه لا توجد قضية فى العالم تمس حياة البشرية إلا وموجود فى منهج الله ما يعالج هذه القضية.. نحن نقول تعالج.. لأن التشريعات عندما تأتى تعالج واقعا موجودا فى المجتمع. وفسادا انتشر.. ولذلك فهى تعالجه لتشفى الناس منه.. وبعد ذلك عندما نتبع تعاليم الله .. لا يأتى لنا الفساد أصلا ولا الآفات.. ولا أمراض المجتمع.. وفى هذه الحالة يكون هذا الدين وقاية لنا من آفات المجتمع وانحرافاتة فهو شفاء؛ لأنه سيعالج الانحرافات والفساد الموجود فى المجتمع.. ورحمة ؛ لأنه يمنع أن تأتى هذه الانحرافات إلى المجتمع.. وذلك عين الرحمة ، وعندما نغفل عن هذه المبادئ القرآنية.. يوجد لهذه الغفلة آثار ضارة فى المجتمع .. نبدأ فى التفكير فى العلاج .. فنكتشف أننا تركنا مبدأ كذا ومبدأ كذا.. مما أمر به الله.. فيبدأ العلاج بمنهج الله.. إذن فقول الله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(١) معناه أنك جئت بمنهج من عندنا تبلغه للناس.. لو أنهم اتبعوا هذا المنهج.. لعمتهم الرحمة بحيث لا يوجد شقاء إنسانى فى المجتمع ولا فساد..

الدين صلاح للدنيا والآخرة

الدين ليس موضوعه الآخرة فقط .. بل هو ينظم حركة الإنسان فى الدنيا .. ينظم حركة حياته .. أما الآخرة ففيها الجزاء .. الجزاء على

(١) الأنبياء : (١٠٧)



اتباعك المنهج .. أو ما أمر به الله .. أو عدم اتباعك له .. تطبيق الدين .. وتعاليم الدين .. مقصود به أولئك الموجودون في الدنيا .. مصداقا لقوله - سبحانه وتعالى - ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ (١) والجزاء على الشيء ليس هو عين موضوعه .. لذلك فإن الدين لا يقتصر على الغيبيات فقط ، فالغيبيات يصدقها من آمن بالله .. لأنها جاءت عن الله ، أما غير المؤمن فليس له إلا واقع الحياة ولا بد أن يبين لنا واقع الحياة أن هذا المنهج الذي جاء من عند الله .. لو اتبع كما يريده الله فسيختفى الشقاء من المجتمع .. ولذلك نجد القرآن يفسر ذلك تفسيراً دقيقاً ..

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (٢) .. هذا في الدنيا .. ثم قال - تعالى - : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (٣) قول الله معيشة ضنكا .. يدل على أن تعاليم الله نزلت لتحمي الإنسان من ضنك وشقاء المعيشة في الدنيا ..

والشقاء البشري ليس اقتصادياً فحسب لأنه .. لا يتعلق بالمال وحده .. وإنما معنى ضنك المعيشة هو الضيق في المعيشة .. وهذا له أسباب متعددة .. فقد يملك الإنسان أموالاً طائلة .. ومع ذلك يضيق بحياته .. ذلك أن جوانب النفس البشرية جوانب شتى (٤) قد

(١) يس : (٧٠)

(٢) طه : (١٢٣، ١٢٤) . معيشة ضنكا: ضيقة شديدة بسبب الفقر أو المرض النفسي أو المرض الجسدي .

(٤) شتى : متفرقة.

(٣) طه : (١٢٤)



يشبع المال جانباً منها .. وتبقى الجوانب الأخرى فى ضيق وشقاء ..
ولذلك نجد أن إنساناً يملك أموالاً طائلة .. قد يرغمه ظرف من
ظروفه أن ينتحر .. لماذا؟ .. لقد ضربت مثلاً لذلك بالسويد .. وهى
أعلى دول العالم فى نصيب الفرد من ترف الحياة .. ومع ذلك فإن
الإحصاءات تقول إنها من أعلى دول العالم فى الانتحار والأمراض
العصبية والنفسية .. المسألة ليست مسألة مادية فقط .. وشقاء الحياة
لا يجوز أن يؤخذ على أنه فقط جانب المال .. بل هناك جوانب أخرى
تسبب لصاحبها شقاء إنسانياً أكثر من قلة المال ..

إذا خالفنا انكشفت العورة (١)

نكون الآن قد وصلنا إلى أن رسول الله ﷺ جاء عاماً لجميع
الأزمان والأمكنة بمبادئى هى الرحمة .. لو اتبعت لنجونا من الشقاء
فى الدنيا ، وأخذنا الجزاء فى الآخرة .. وهذه هى الرحمة ..
كل هذا يفسر لنا ما حدث لآدم .. وهو أن الله - سبحانه وتعالى -
منعه وزوجه حواء أن يقربا الشجرة فلما ذاقا الشجرة .. بدت (٢)
لهما سوءاتهما .. يعنى العورة بدت عند المخالفة .. فأى عورة فى
مجتمع من المجتمعات .. إذا بحثت عن أسبابها وجدت أنها
حدثت بسبب مبدأ من مبادئى الله عُطل فى الأرض .. ولولم

(١) معنى العبارة أن مخالفة البشر لمنهج الشرع يؤدى بإعلان حرب على المخالفين.

(٢) بدت : ظهرت



يحصل ذلك لما وجد الجمال فى الكون.. إذا كان المستقيم وغير المستقيم أمرهما سواء فى الحياة.. لا يكون هذا جمالا .. ولو أن الطالب المجتهد والطالب الذى لا يذاكر نجحا لا يكون هذا جمالا فى الحياة.. بل إنه يكون جمالا يورث قبحا ، . لأنه قد تساوى من اجتهد ومن لم يجتهد .. وبذلك لن يجتهد أحد .. فلو لم يوجد الشقاء والفساد فى البيئات التى تبتعد عن منهج الله .. لما كان ذلك جمالا ولا شهادة للدين .. إن الشهادة للدين أن الجماعة التى تبتعد عن منهج الله يحدث لها شقاء وداءات وفساد وانحرافات .. وبذلك يدلل الله - سبحانه وتعالى - فى الحياة الدنيا .. ومن واقع تجربتها على صدق منهجه وتعاليمه ..

ومثال ذلك هزيمة المسلمين فى غزوة أحد عندما خالفوا أمر رسول الله ﷺ .

فتح التوبة أمام البشر

إلا أن هناك معنى أوسع أود أن أضيفه .. ذلك أن السماء (١) قبل الرسالة المحمدية .. كانت لا تطلب من الرسل إلا مجرد البلاغ .. وهى التى تتولى التأديب .. تأديب المخالفين .. وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - هذا فى القرآن .. قال - تعالى - : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ

(١) السماء : المقصود الله الذى ينزل رسالته من السماء



مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمَنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿١﴾ فالسمااء هى التى كانت تؤدب العاصين..

والرسل كان عليهم البلاغ.. لكن فى عهد الرسول ﷺ من الله على المسلمين بأن يمهّل المخالف منهم.. فالذى يعصى تعاليم الله . فإن له

معيشة ضنكا فى الدنيا غير عذاب الآخر.. ولذلك كانت رسالة محمد ﷺ رحمة للعالمين .. للكافر والمؤمن منهم.. ذلك أن السماء لم تعجل

بعذابهم فى الدنيا.. كما كان يعجل بالمخالفين للرسل فى الأمم السابقة.. تركت لهم فرصة التوبة .. ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ

فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٢﴾ فكأن الله - سبحانه

وتعالى - قد أرسل نبيه رحمة للعالم كله دون تمييز بين مؤمن وغير مؤمن رحمة من عذاب السماء فى الدنيا.. وليفتح أمامهم أبواب

التوبة عن المعاصى فيغفر لهم فى الآخرة وهذا هو معنى الآية الكريمة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ولو لم يفتح الله باب

التوبة للعاصين لاستمروا فى طغيانهم وإفسادهم للمجتمع، فكانت التوبة رحمة بالعاصين ورحمة بالمجتمع لنجاته من شرورهم

وجبروتهم.

(١) العنكبوت : (٤٠)

(٢) الأنفال : (٣٣)

(٣) الأنبياء : (١٠٧)



مناقشة الفصل الرابع

١- اختبر معلوماتك بوضع اسم مَنْ أُرسل إليهم كل رسول من الرسل الآتية أمامه :

- | | |
|-----|--|
| () | (أ) هود <small>عليه السلام</small> |
| () | (ب) صالح <small>عليه السلام</small> |
| () | (ج) موسى <small>عليه السلام</small> |
| () | (د) محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small> |

٢- ما مصدر الشقاء البشرى كما يقرر القرآن الكريم ؟ وما معنى «معيشة ضنكا» ؟

٣- تخير من (ب) ما يتم معنى (أ) :

- | | |
|-----|-----|
| (أ) | (ب) |
|-----|-----|

١- القرآن الكريم علاج لأنه ١- دليل على عمومية رسالة

محمد صلى الله عليه وسلم

٢- القرآن الكريم رحمة لأنه ٢- يعالج الآفات فى العالم كله

٣- يحمل الخير والسعادة لكل

زمان ومكان .

٣- القرآن الكريم منهج

عالمى لأنه

٤- يمنع الانحرافات من المجتمع

٥- يؤكد المبادئ السليمة

وينشرها

٤- التقدم الإنسانى فى

وسائل الاتصال



الفصل الخامس

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

مقدمة :

(ليلة القدر هي الليلة التي نزل فيها القرآن .. والقرآن أزلى لأنه صفة من صفات الله - سبحانه وتعالى - .. ولذلك فإن القرآن نزل في هذه الليلة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليباشر مهمته بافعل ولا تفعل ..)

ولو أخذنا اختلاف السنة القمرية عن السنة الشمسية لوجدنا أن ليلة القدر .. جاءت في كل يوم من أيام السنة .. فرمضان يأتي في الربيع والخريف والصيف والشتاء .. أي أنه يدور في العام كله .. في كل فصل من فصوله .. ما من شهر من شهور السنة الشمسية إلا وشهد رمضان أو جزءا من رمضان .. ومع طول الزمن نجد أن ليلة القدر هي الأخرى قد مرت في العام كله .. في كل يوم من أيامه ..

السرفى كونها بالليل

واختيار الليل هنا لأنه الوقت الذى تكون فيه العبادة لله وحده .. فيه صفاء وهدوء .. وفيه صدق التعبير ... فالذى يرائى بعبادة الله لا يمكن أن يقوم الليل .. والذى يريد أن يقال عنه إنه رجل صالح ..



رياء أو نفاقا لا يمكن أن يقوم الليل .. ولكن الذى يقوم الليل هو الخاشع لله - سبحانه وتعالى - المؤمن به .. وعندما يختار الله وقتا من الأوقات .. أو مكانا من الأمكنة أو شخصا من الأشخاص لينعم عليه بما شاء .. ويصطفيه لرسالته أو لإبلاغ خلقه منهجه .. فهذا الاختيار هو خير للبشرية كلها .. فاختيار مكة مثلا مكانا لبيت الله الحرام هو تكريم لمكة وفى نفس الوقت تكريم للعالم كله .. فالناس من جميع أنحاء العالم تذهب هناك لتحج وتؤدى المناسك وتتوب إلى الله وتستغفره وتعود إلى بلادها مغفورة الذنب .. إذن فالخير هنا لم يقتصر على مكة وحدها .. بل امتد ليشمل رحمة الله للعالم أجمع .

ورسول الله ﷺ أرسل رحمة للعالمين وكلنا ندعوه بالرفعة والمقام المحمود .. فنحن ندعو لأنفسنا .. لأنه بالمقام المحمود الذى سيكون فيه يوم القيامة .. سيسفح لنا جميعا .. فيصيبنا الخير والرحمة على يديه .

كيف يتحقق أمن البشرية ؟

كذلك اختيار ليلة القدر .. هى لتعم الدنيا كلها بفضل من الله ورحمة .. فالنفس البشرية لكى تعيش آمنة فى الحياة الدنيا يجب أن تتخلص من عدة أشياء .. أولها الخوف . والخوف يكون من شئ معلوم .. ثم الهم والحزن الذى يدخل القلب ، وهذا قد يأتى من شئ مجهول غير معلوم لك .. ثم المكر أن يمكر بك غيرك .. وليلة القدر



سلام وأمن .. لأنها تذكر بالقرآن الذى لو اتبعناه لأذهب عنا الخوف
والهم والحزن ..

العمل بالقرآن يورث الأمان :-

كان الإمام جعفر الصادق يقول : عجبت لمن خاف كيف
لا يفرع إلى قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ ﴾^(١) فإن الله يعقبها بقوله : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا إِلَى اللَّهِ
وَفَضْلٍ لَمْ يَتَسَنَّهْ سُوءٌ ﴾ وعجبت لمن اغتم كيف لا يفرع إلى قول
الله - تعالى - : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
فإن الله يعقبها بقوله : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)
وعجبت لمن يكر به كيف لا يفرع إلى قول الله - تعالى - : ﴿ وَأَقْرِضْ
أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ فإن الله يعقبها بقوله : ﴿ فَوَقَّعَهُ
اللَّهُ سَعْيَاتٍ مَّا مَكْرُوا ﴾^(٣) وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا
يفرع إلى قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾
فإنى سمعت الله يعقبها بقوله : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾^(٤)
فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ

(١) ال عمران : (١٧٣ - ١٧٤)

(٢) الأنبياء : (٨٧ - ٨٨)

(٣) غافر : (٤٥)

(٤) الكهف : (٣٩ - ٤٠)



كل شيء فى هذا الكون لكى يحدث .. لا بد أن يكون هناك فاعل ليقوم به .. ولا بد أن يكون هناك مفعول به .. وقد يوجد الفاعل والمفعول .. ولكن السبب الذى من أجله ينشأ الفعل ينعدم .. إذن الفعل لابد له من وجود هذه العناصر الثلاثة .. الفاعل والمفعول به والسبب .. لذلك أدبنا الله - سبحانه وتعالى - فى الأحداث .. وأمرنا ألا نقول لشيء نريد أن نفعله غدا .. إلا أن يشاء الله .. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١)

لابد أن تقول إلا أن يشاء الله .. لماذا ؟ .. لأنك لا تملك عنصرا واحدا من عناصر الفعل .. لا تملك وجود الفاعل الذى هو نفسك غدا .. أو بعد ساعات ولا تملك وجود المفعول غدا .. ولا تملك بقاء الزمان غدا .. ولا تملك بقاء المكان غدا .. فقولك إنى فاعل ذلك غدا .. مجاز .. ولذلك يجب أن تردّها إلى من يملك وجود هذه الأشياء وتقول إلا أن يشاء الله .. وفى هذه الحالة تكون قد خرجت من الكذب إلى الصدق .. ومن المجاز إلى الحقيقة ..

المقصود بأنزلناه فى ليلة القدر أبرزناه إلى الأرض :-

وما دامت الأحداث لها العناصر .. فحين نريد حدثاً مثل نزول القرآن فإن ذلك يقتضى مُنزلاً .. ويقتضى مُنزلاً عليه .. ويقتضى سببا للإنزال .. ويقتضى مكانا للإنزال وزمانا للإنزال ... فليلة

(١) الكهف : (٢٣)



القدر تعرضت لزمان الإنزال .. لكن القرآن إذا نظرنا إليه وجدناه نزل
فى ليلة القدر وفى غير ليلة القدر .. لأنه نزل منجما حسب الحوادث
.. ونزل ليلا .. ونزل نهارا .. ونزل فى كل وقت من الأوقات .. ولكن
الإنزال فى ليلة القدر .. معناه إرادة الحق أن يبرز القرآن من كنزه
الذى كان مكنونا فى اللوح المحفوظ إلى الأرض ليباشر مهمته فى
الوجود .. من عالم الغيب .. إلى عالم الشهادة .. وتنزيل القرآن
منسوب إلى الله - سبحانه وتعالى - مصداقا لقوله : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ
وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (١).

ولكنه يأتى أيضا منسوباً إلى جبريل .. نزل به الروح الأمين ..
أى الذى نزل به .. الروح الأمين .. ولكن الذى أنزله هو الله - سبحانه
وتعالى - .. إن مادة أنزل لم تسند إلا لله - سبحانه وتعالى - .. فقول
الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٢) أى أخرجناه من اللوح المحفوظ من
عالم الغيب الذى كان مستورا فيه ليباشر مهمته فى الوجود .. وما دام
قد أنزله فى ليلة القدر .. والإنزال للقرآن .. يكون الإنزال ليس للبلاغ
وحده ولكن لكى يبتدىء القرآن مباشرة مهمته .. وبذلك يكون ما قوله
من أنه نزل من اللوح المحفوظ إلى الدنيا ليباشر مهمته فى الوجود .

(١) الإسراء : (١٠٥)

(٢) القدر : (١)



معنى الزمان ليس قائما بذاته

يلاحظ هنا أن الضمير فى قول الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ضمير جمع.. وفى المنزل هاء الغيبة . وإذا قرأت القرآن وجدت أن الحق - سبحانه وتعالى - فى كل فعل يفعله يأتى بضمير الغيبة الجمع .. لأن الفعل يتطلب تكاتف صفات متعددة لله - سبحانه وتعالى - .. الحكمة والرحمة والقوة والعلم إلى آخره .. لكن الحق إذا تكلم عن الذات .. يتكلم بالإفراد .. فلم يقل - سبحانه وتعالى - نحن الله .. بل قال إننى أنا الله .. وفى هذه الحالة فهو يتكلم عن وحدانيته ولا شريك له .. ولكن عندما يتكلم عن حدث يتطلب عدة صفات مجتمعة .. فإنه يستخدم صيغة الجمع .. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ .

نعود إلى ليلة القدر .. مادام القرآن قد نزل فيها و القرآن يحمل هدى الله للبشر جميعا .. فيجب أن تكون محل حفاوة بما أنزل فيها .. والإنسان حين يحتفى بزمان .. يحتفى بما حدث فى هذا الزمان .. فالزمان ليس ملحوظا .. ولكن ما حدث فى الزمان هو الملحوظ.. حين يحيى الإنسان ليلة القدر .. فهو لا يحييها إلا لأن الله كرمها.. لأنها كانت ميلاداً للقرآن .. فتكريمها تكريم للحدث الذى وقع فيها وهو القرآن ... ولا يكرم الإنسان حدثا وقع فى زمن إلا لأنه فرح بآثار هذا الحدث نفسه . فقول الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ معناه إبراز القرآن من اللوح المحفوظ .. الذى كان مستورا فيه إلى الوجود ليباشر مهمته .



وليحتفى به المسلمون أيما احتفاء ، فيأتمرون بأمره، وينتهون
بنهيه.

ليلة القدر أخذت القدر من جهتين .. التقدير والقدر .. ثم يضخم
الله الليلة .. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(١) ما أدراك .. أدري هنا
فعل ماض .. ومعناها ما أحد أخبرك بليلة القدر .. وما دام الله قد
نفى أن يكون أحد قد أدري نبيه بليلة القدر .. فكأنه لا يعرف قدرها
إلا الله - سبحانه وتعالى - .. فإذا أردت أن تعرف قدرها فاسمع من الله.

الفرق بين ما أدراك وما يدريك فى القرآن

القرآن حين يتكلم فى أدراك أو يدريك ... لا بد أن نلاحظ شيئاً ...
ما أدراك معناها أنه لم يوجد أحد قد أدراك قبل الآن.... ويدريك
معناها أن أحدا لم يدرك فى الماضى وأن أحدا لن يدريك فى
المستقبل إذن ما يدريك لا يمكن أن يدرك أو يعرف بعد ذلك ...
إنما ما أدراك فى الزمن الماضى .. معناها أن أحدا لم يخبرك بشيء
عنها حتى الآن ولكن الله سيدريك الآن.... وهنا أدركه الله وقال :
﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٢) فإذا قرأت فى القرآن ما أدراك
فاعلم أن الله سيدريك وإذا قرأت ما يدريك فاعلم أن ذلك من
مكنونات الغيب وأن الله لن يدريك بها ولاتقال هذه الكلمة....

(١) القدر : (٢)

(٢) القدر : (٣)



وما أدراك ما ليلة القدر... إلا إذا كان القدر عظيما لا يمكن أن يستوعبه أحد باجتهاده أو بعلمه إلا الله وهذا تفخيم لليلة القدر فكان الخير فيها أكثر من أن يدركه البشر.... وإنما يدركه من اختارها لإنزال خير ما أنزل ..

ثم يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾
هنا تفضيل الليلة على ألف شهر لابد أن نقف أمامه .. فمادامت ألف شهر والسنة اثنا عشر شهرا.. كأن الألف شهر فيها ثمانون عاما أى ثمانون ليلة قدر إذن هى خير من ألف شهر .

ألف شهر ... لماذا ؟

ولماذا اختيرت الألف بالذات ... لأن الله - سبحانه وتعالى - كان يخاطب العرب بعقولهم .. وقد كان العرب يعتقدون أن الألف هى نهاية الأرقام .. ولذلك إذا زادوا عليها كرروا كذا ألفا .. فلم يكونوا مثلا يعرفون المليون أو البليون .. إذن الألف قمة العدد .. فكأن الله أراد أن يقول إن ليلة القدر خير من ألف شهر أى أنها خير من أضخم شئ يعرفون به مقاييس الأعداد .. وإذن معناها أن ليلة القدر خير من الزمن كله مهما طال .. وهذه الخيرية لرسول الله ﷺ ولأمته .. فرسول الله ﷺ سمع أن رجلا حمل السيف فى سبيل الله ألف سنة .. فاستقصر الرسول الكريم عمر أمته .. فكأن الله أراد أن يبشره .. فقال له : عندكم ليلة ... لو أحسنتم القيام فيها



والعبادة لله لأغنتكم عن ألف شهر .. وألف شهر فى ماذا ؟ فى حمل سيف فى سبيل الله.. ويكون المعنى فى ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - عوض أمة محمد فى الزمن اليسير .. ما يتسع له ما أخذه غيرهم فى الزمن الطويل ..

﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾

ولكن الله أراد أن يعطينا شيئاً آخر عن ليلة القدر .. هى أنها محل لتنزلات الملائكة برحمة الله فى الأرض .. تنزيلات رحمة الله فى الأرض هى بنواميس .. وبقوانين .. كل قانون كالأرزاق وكالرحمة .. وكالموت.... له ملائكة .. بدليل أن الله يقول عن الملائكة ﴿ قَالُمُذِرَاتٍ أَمْرًا ﴾ أى أنه خلق الملائكة الغيبيين .. لكى يباشروا مهمة غيبية محددة فى الحياة يقومون بها .

﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

وبعد ذلك قال : ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ معنى ذلك لاينزل فيها إلا كل ما هو خير .. وكل ما هو سلام .. لأن تنزيلات الله بالخير فى نواميسه جاءت خيراً للناس فى كل ما يتصل بحياتهم.. هذا فيما يتعلق بماديات الحياة .. وفيما يتعلق بمعنوياتها.. فإن خير ما ينزل فى هذه الليلة هو القرآن الذى وضع آخر منهج لحركة حياة الإنسان على الأرض .. وما دام الأمر كذلك ... فإذا استقبلنا ما نزل



فى هذه الليلة .. وجعلناه منهجا .. فى هذه الحياة ملاً الكون السلام
والرحمة والبركة .. فالسلام ليلة القدر هو سلام لكل الأزمنة ..
لايختل السلام أبدا .. السلام نزل فى ليلة القدر.... لكن نحن الذين
ننفذه أو لا ننفذه .. فإن نفذناه يكون سلام ليلة القدر قد امتد لكل
الأزمان ... وإذا أخذناه وعطلنا مهمته.... يكون السلام قد نزل فى
ليلة القدر ... ونحن الذين امتنعنا عن أن ننتفع بذلك السلام.
والمفروض أننا نمضى ليلة القدر فى عبودية صادقة لله ... فإذا
أمضينا هذه الليلة ونحن نعبد الله حق عبادته كان معنى ذلك
أننا كررنا الزمن الذى أنزل فيه ما نحب وهو القرآن ... المنهج
الذى أوضح لنا صفاء العبودية للحق - سبحانه وتعالى - احتفالنا
بليلة القدر هو فرحتنا بتلك الليلة.... بما نزل فيها ولا نفرح بما نزل
فيها إلا إذا كانت آثار ما نزل فيها قد نضحت على نفوسنا صفاء...
وعلى سلوكنا تضرعا ... وهنا يتجلى الله - سبحانه وتعالى -
مادام عبدى قد فرح بمنهجى فرحا جعله يكرم ليلة البداية فى نزول
هذا المنهج فليس له جزاء عندى إلا أن أغفر له.

تحديد الليلة فى رمضان

بعد ذلك نأتى إلى تحديد الليلة .. اليتيمة فى شهر رمضان ... لأن
الله - سبحانه وتعالى - قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ والقرآن نزل
فى ليلة القدر ... وفى آية أخرى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾



القرآن نزل فى رمضان... وفى غير رمضان إذن لابد أن بداية الإنزال أو الإذن لمباشرة القرآن لمهمته فى الكون.... فى شهر رمضان.... ولكن ليلة القدر دائرة فى الزمن... بمعنى أنها مرت فى كل يوم من أيام الزمن فالفرق بين العام القمري والعام الشمسى أحد عشر يوما وهذا الفرق مثلا يجعل رمضان يأتى فى الشتاء ... وفى الصيف... وفى الخريف وفى الربيع أى أنه مقسم على أيام السنة كلها وعلى فصولها جميعا فإذا حسبنا الاختلاف مع طول الزمن نجد أن ليلة القدر جاءت منذ بدء الخليقة حتى الآن مرة واحدة على الأقل فى كل يوم من أيام السنة... ليلة القدر تدور فى الدنيا لتشمل كل يوم فيها ... لتشمل الزمن كله .

وقد قال رسول الله ﷺ : «التمسوها فى العشر الأواخر» أو فى «وتر العشر الأواخر من رمضان» قد يكون رمضان فيها ثلاثين يوما.. وقد يكون ٢٩ يوما.. وعندما يكون رمضان ٢٩ يوما ويلتمسها فى العشر الأواخر.. تكون بدأت من ٢٠ .. وبذلك تكون عشرين، ٢٢، ٢٤، إلى آخره.. فإذا كان رمضان ثلاثين يوما.. تكون البداية ٢١، وبذلك تلتمسها أيام ٢١، ٢٣، ٢٥، وهكذا.. هنا يبرز سؤال .. من يدرينا ونحن فى العشرين من رمضان إذا كان رمضان سيكون تسعة وعشرين يوما أو ثلاثين يوما؟ من يدرينا بذلك؟.. طبعا



نحن لا نعرف ذلك مقدما .. ومن هنا فإننا إذا كنا نلتمس العشر
الأواخر من رمضان .. فيجب أن نلتمسها فى كل ليلة من العشر
الأواخر ابتداء من ٢٠ .. والرسول ﷺ خرج يوما على أصحابه وقال:
« كنت قد خرجت لأخبركم بليلة القدر.. إلا أنه تلاحى^(١) فلان
وفلان .. أى تشاجرا فى المسجد.. فرفعت عنى.. فالتمسوها فى
العشر الأواخر.. فكأن الله يريد أن يخبرنا أن التشاجر هو ميدان
الشیطان لمعارك الشر.. وأن ذلك يمنع الخير..

والصفاء نفسه يستدعى الصفاء.. فعندما يجد الله - سبحانه
وتعالى - جمعا كله صفاء.. تتنزل فيه ملائكة الرحمة.. لماذا ؟.. لأن
الله - سبحانه وتعالى - يحب من خلقه الإخاء والصفاء .. فيقول الله
- سبحانه وتعالى - فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ ولكن
عندما يريد الله أن ينزل خيرا عميما على الناس.. ثم يأتى فيجد أنهم
ليسوا أهلا لهذه الرحمة.. أو لهذا الخير.. أجهزة الاستقبال عندهم
تالفة.. حينئذ يقبض عنهم الخير.. فإذا أردنا أن نكون أهلا لعطاء
الله.. فيجب أن نكون دائما على الصفاء.. لنستطيع أن نستقبل عطاء
الله.. وبعد ذلك شاء الله رحمة منه ألا يحرمننا من الخير كله..
فأتعبنا قليلا.. قال إنها فى العشر الأواخر من رمضان.. بدلا من
تحديد الليلة.. وفى ذلك حكمة من الله - سبحانه وتعالى - فى أنه يريد

(١) تلاحى : تشاجر



أن يقف الناس فى وجه الشر مهما كان هذا الشر حتى يمكنهم أن يستقبلوا عطاء الله ورحمته.. وفى هذه الحالة يكون التمسك بالخير هو دفاع الإنسان عن ذاتية نفسه مصداقا لقوله - سبحانه وتعالى - :
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (١)

ديمومة ذكر الله

ويقول الله : ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (٢).

أى مشارق وأى مغارب ؟

فى عهد رسول الله ﷺ وكان كل ما يعرفه الناس عن الشمس أنها تشرق من مكان.. وتغرب من مكان آخر.. فيقولون مثلا الشمس تشرق من ناحية هذا الجبل.. وتغرب من ناحية هذه الشجرة.. ولكن الآن كل بلد له مشرق ومغرب.. فالشمس عندى تشرق من ناحية الجبل.. وبعد دقائق تشرق فى بلدة أخرى.. وبعد دقائق فى بلدة ثالثة.. وبعد دقائق فى بلدة رابعة.. وهى تغرب من هناك وبعد دقائق تغرب من بلدى.. وبعد دقائق تغرب من بلدة مجاورة.. أى أن لها مشارق ومغرب.. والصلاة مثلا.. الصلاة مستمرة فى الأرض ليلا ونهارا.. توقيت الظهر مثلا عندى.. وبعد دقائق فى بلدة أخرى... وبعد دقائق فى بلدة ثالثة.. ونصف الأرض نائم.. والنصف الثانى

(١) الأنفال : (٢٥)

(٢) المعارج : (٤٠)



يسبح الله.. بعض الناس يصلون الفجر.. وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون الظهر وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون العصر.. وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون العشاء.. الصلاة هنا فى القاهرة مثلا وبعد دقيقتين فى بنها.. وبعد دقيقتين آخرين فى دمنهور.. وبعد دقيقتين فى الإسكندرية.. وبعد دقيقتين أو ثلاث هى فى بلد آخر.. وهكذا.. بحيث لا ينقطع عن العالم أجمع ثانية واحدة ليست فيها ذكر الله..

وبالله التوفيق



مناقشة الفصل الخامس

١- فسر قوله - تعالى - : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ .

٢- ﴿سَلَّمْنَاهُ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

وضح ما يتعلق بماديات الحياة ومعنوياتها فى ليلة القدر .

٣- متى تكون ليلة القدر ؟ ومتى يلتمسها المؤمن ؟ وما معنى قول

المؤلف « ولكن ليلة القدر دائرة فى الزمن »؟

٤- أكمل العبارات الآتية :

أ- لكى تعيش النفس أمانة يجب أن تتخلص من

.....،

(ب) كل فعل لابد له من ،،

(ج) نزل القرآن فى ليلة فى شهر

٥- ما السر فى اختيار الليل لنزول ليلة القدر ؟

٦- قال - تعالى - : ﴿وَلَا نَقُولُ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ إِلَّا أَن

يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ .

ما الدرس الذى نتعلمه من هذه الآية ؟



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٣	مقدمة..	١
٥	الفصل الأول : «معجزة القرآن»	٢
	الفصل الثاني : «وشهدوا للقرآن وهم	٣
٣٣	كافرون»	
٥٢	الفصل الثالث : «القرآن والعلم»	٤
٧٤	الفصل الرابع : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	٥
٨٤	الفصل الخامس : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	٦



